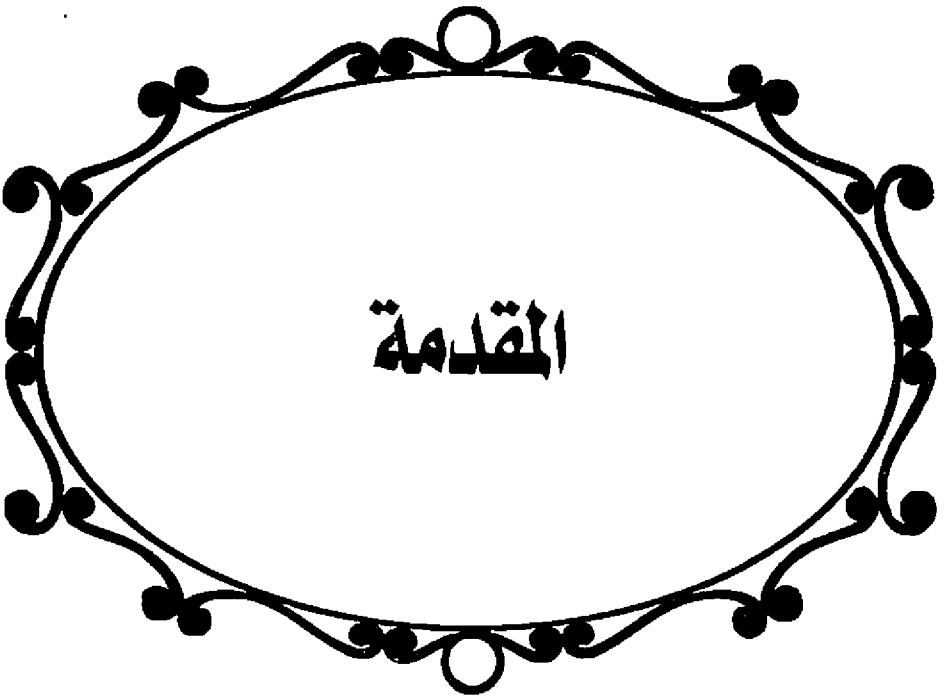
المقدمة

المقدمة

الْحَمْدُ للَّه الَّذى أَنزَلَ عَلَى عَبْده الْكتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عوَجَا، قَيِّمًا لِّيُنذرَ بَأْسًا شَديدًا من لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمنينَ الَّذينَ يَعْمَلُونَ الصَّالحَات أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا. ﴿الكهف: ١، ٢﴾ وصلاة وسلاما على سيدنا محمد الذى أنزل عليه الفرقان، ليكون للعالمين نذيرا، ورضى الله ـ تبارك وتعالى ـ على المؤمنين به، السائرين على هديه. وبعد:

دعا الإسلام إلى التفكير والتأمل فى ملك الله، وفى نفسه وفيما وراءه، ووراء الطبيعة والتدبر والعلم والمعرفة. قال تعالى: " قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ " ﴿الزمر: ٩﴾ وقد رغبت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الحكماء المسلمين فى طلب العلم، لذلك أقبل المسلمون على طلب العلم وتحصيل المعرفة بشغف شديد، وواصلوا العمل به والتأليف حتى أضافوا إلى عالم الفكر إضافات عظيمة، وتركوا لنا تراثا فكريا ثريا يُعد أجل ما خلفته لنا الحضارات الإنسانية .

ولم تكن رسالة الإسلام عبادة فحسب، بل شملت حاجات الحياة الدنيا من سلوك شخصى وتصرف اجتماعى وتسام إلى مزايا طيبة من أمر بمعروف ونهى عن منكر وحث على التعلم، لذلك كانت الرسالة السماوية مدعاة لبزوغ شمس العلم، ولم يقتصر الاهتمام بكتاب الله وسنة سيدنا محمد ﷺ فقط، بل حصلت العناية بعدد كبير من العلوم والمعارف التى لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالتفقه فى الدين. فأما ما يتعلق بالدين من علوم فقد أشار الإمام الشافعى حين بين فضل تعلم الأصول بقوله: " من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تعلم الفقه نبل مقداره، ومن كتب الحديث قويت حُجته، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن تعلم اللغة رق طبعه ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه" .

إن أهمية تراثنا العلمى والفكرى وضرورة المحافظة عليه، والحاجة الملحة إلى إحيائهـا والتعريف به وإبرازه، يعد الحافـز العام إلى طرق هذا الميدان فى الدراسات الحضارية الإسلامية، كما أن الوعى بالتراث الفكرى والثقافى وإبراز النظام التعليمى والاهتمام به، وإنشاء المدارس ومراكز العلم المختلفة والاهتمام بالعلماء والـعلوم هو الأساس الذى تبنى عليـه حضارات الأمم، وقـد أسهم إقليم الصغد بحظ وافر فى هذا الميدان، وأضاف المسلمون فى مدن الصغد إلى الحضـارة الإنسانية إضـافات كـثيرة، ولم يتـركوا علما إلا وتنـاولوه بالبحث والدراسة: العلوم العربية والدينية والعلوم العلمية، وصنفوا المجلدات فى فروع العلم المختلفة وترك المسلمون للبشرية تراثا كبيرا ضخما ملأ مكتبات العالم.

وكان من أهـم الحوافز التى دفـعتنى إلى اخـتيـار هذا الموضوع (الحـياة الثقافيـة فى إقليم الصغد منذ قيام الدولة السلجوقيـة حتى الغزو المغولى) هو توثيق صلة رجال العلم العرب المعاصرين بتـراثهم القديم، والرغبة فى دراسة وإزاحة الغموض فيما انقطع من دراسـة هذا الجانب الهام من جوانب الحضارة الإسلاميـة فى هذا العصر من تاريخ الأمـة الإسلامية المجيـد والذى لم يجد الاهتمام المطـلوب من جمهور الباحـثين والدارسين بسبب اللـبس وعدم توفر المعلومات الأكيدة لتاريخ وأوضاع هذا الإقليم.

وموضوع هذا البحث يـدور حول" الحياة الثقافيـة فى إقليم الصغد منذ قيام الدولة السلجوقية حتى الغـزو المغولى" وتحديد مسارها من خلال تأثيرها وتأثرها بالأوضاع السياسية والاقتصادية والدينـية، نتيجة العلاقة بينهما، التى تركت آثارا واضحة فى مجـرى الحياة الثقافية، والمتـمثلة فى ظهور العديد من العلماء الأجلاء فـى الدراسات الأساسية، والدراسـات الإنسانية والتطبيـقية، ونشاطهم العلمى المتمـثل فيما خلفوه من تراث علمى كـبير يزين دور الكتب العالمية، فاق كل ما كتب بأى لسان آخر. وانتظم هذا البحث فى تمهيد وأربعة فصول.

اختص التمهيد باستعراض شامل لجغرافية إقليم الصغد، بالإضافة إلى الحالة السياسية لإقليم الصغد منذ قيام الدولة السلجوقية حتى الغزو المغولى.

أما الفصل الأول فقد أفرد للحديث عن ازدهار الحياة الثقافية والمؤسسات التعليمية، وقد قُسم إلى مبحثين: استعرض المبحث الأول عوامل تقدم الحياة الثقافية من خلال تناول: اهتمام أهل إقليم الصغد بالعلم، تشجيع الحكام للعلم والعلماء، مكانة العلماء فى المجتمع الصغدى، الرحلة فى طلب العلم، الإجازات العلمية، أدوات الكتابة وحوانيت الوراقين.

أما المبحث الثانى فقد اختص بالحديث عن المؤسسات التعليمية فى مدن الصغد من خلال استعراض: الكتاتيب، المساجد، المدارس، الربط والخانقاوات، فضلا عن المكتبات.

أما الفصل الثانى فقد خُصص لدراسة مظاهر تطور العلوم الأساسية فى مدن الصغد من خلال الحديث عن: علم القراءات، علم التفسير، علم الحديث، علم الفقه، علم التصوف.

والفصل الثالث تناول دراسة العلوم الإنسانية والتطبيقية وقُسم إلى مبحثين: اختص المبحث الأول بدراسة علوم اللغة والنحو والأدب، وعلوم التاريخ والجغرافية والكلام والفلسفة بينما تناول المبحث الثانى دراسة علم الفلك، علم الرياضيات، علم الطب، علم الصيدلة، علم النبات، علم الكيمياء.

أما الفصل الرابع فقد خصص لدراسة الفنون والآثار والموسيقى فى مدن الصغد خلال فترة الدراسة والمتمثلة فى: المنسوجات، السجاد، التحف التطبيقية، التحف المعدنية، الزخرفة الإسلامية، العمارة، النقود ودور الضرب، والموسيقى.

والفصل الخامس فقد أفرد للحديث عن التأثير والتأثر فى الحياة الثقافية

فى إقليم الصغد. واختتم البحث بدراسة موجزة عن أهم النتائج التى توصلت إليها، ثم ذيلت هذه الدراسة بمكتبة البحث، والملاحق من خرائط وصور ساهمت فى إبراز معالم هذا البحث.

واسأل الله أن يأخذ بأيدى العاملين على خدمة أمتهم وتراثها إلى ما هو خير العرب وصالحهم وخير الإنسان وصلاحه، ومنه أطلب الرحمة والغفران إن زللت دون قصد، وهو العليم بما نسر ونعلن، وهو خير مجز حكيم، عليه توكلت ومنه أطلب الهدى والتوفيق.

هذا وقد بذلت قصارى جهدى فى هذا البحث وانى لأرجو أن أكون قد وفقت فيه، وان بدا خلل أو تقصير فعذرى انه سمة أعمال البشر وأرجو ألا أحرم أجر المجتهد آملة أن أكون قد وفقت فى هذا البحث الذى تناولت فيه بالشرح والتفصيل " الحياة الثقافية فى إقليم الصغد منذ قيام الدولة السلجوقية حتى الغزو المغولى" كما أرجو أن أكون بجهدى المتواضع قد أسهمت فى إفادة المكتبة التاريخية الإسلامية الفائدة المرجوة.

وفى ختام هذه المقدمة أتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذى العالم الجليل الذى تفضل بالإشراف على هذه الرسالة، الأستاذ الدكتور / محمود عرفة محمود أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الآداب جامعة القاهرة الذى شملنى بعطفه وأعطانى الكثير من وقته ولم يبخل على بفيض علمه الغزير، وشرفت بإشرافه وأفدت من توجيهات سيادته، فجزاه الله عنى وعن طلابه خير الجزاء.

كما أتقدم بعظيم الشكر والتقدير إلى المؤرخين الجليلين عضوى لجنة المناقشة على تفضلهما بالموافقة على الاشتراك فى هذه اللجنة الموقرة والقيام بمهمة فحص الرسالة ومناقشتها، مدفوعين بالرغبة الصادقة فى العمل على تقدم الدراسات التاريخية فى فرع التاريخ الإسلامى.

أ.د/ عصام الدين عبد الرءوف الفقى أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية كلية الآداب ـ جامعة القاهرة .

أ.د/ بدر عبد الرحمن محمد أستاذ التاريخ الإسلامى كلية الآداب جامعة بنها .

كما أتوجه بالشكر إلى أساتذتى فى فرع التاريخ الإسلامى على تشجيعهم المستمر لى .

كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساهم فى إخراج هذا العمل، أساتذة وزملاء جزاهم الله خيرا

وأسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت فى عرض هذا الموضوع وأن يجعله فى صالح أعمالى والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * *

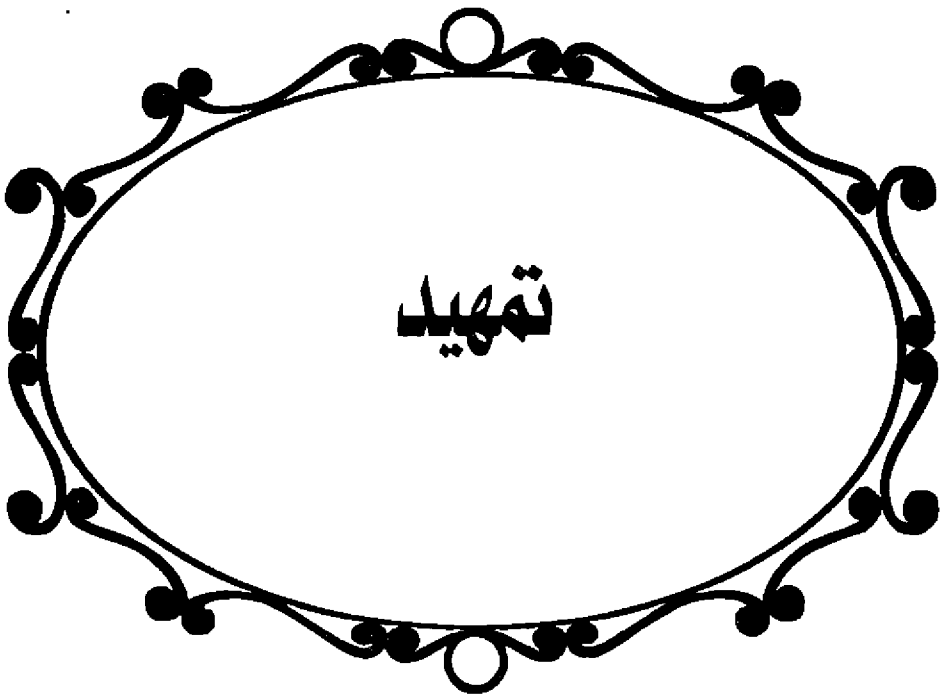
تمهيد

خطط إقليم الصغد

موقع إقليم الصغد[1]

الصغد بضم الصاد المهملة وسكون الغين، ويقال أيضا بالسين، ناحية كثيرة المياه، نضرة الأشجار مؤنقة الرياض والأزهار ملتفة الأغصان تمتد مسيرة خمسة أيام، لا تقع الشمس على كثير من أراضيها، ولا تبين القرى من خلال أشجارها، وفيها قرى كثيرة من سمرقند إلى قريب من بخارى[2]، وعاصمتها سمرقند[3] التى تقع على بعد ١٥٠ميلا شرقى بخارى[4].

---

(١) ذهب البعض إلى أن (إقليم) كلمة عربية، وسمى بذلك لأنه مقلوم من الأرض التى تتاخمه أى مقطوع، والقلم فى أصل اللغة القطع، ولكن يغلب الظن أن كلمة إقليم محرفة عن الكلمة اليونانية Klima التى تعنى تقسيم سطح الأرض إلى مناطق وفقا لطول النهار فى كل منطقة، ومن هنا أخذوا كلمة Klima ونقلها عنهم العرب. محمد محمود محمدين: التراث الجغرافى الإسلامى، ط٢، الرياض، ١٩٨٤، ص١١٤، ١١٣.

(٢) صفى الدين البغدادى: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق على محمد البجاوى، مج٢، دار الجبل، بيروت، ص٧١٧، ٧١٦. القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ص٥٤٣. النرشخى: تاريخ بخارى، ترجمة وتحقيق أمين عبد المجيد بدوى، ونصر الله مبشر الطرازى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨، ص١٩. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ط٢، بيروت، ١٩٩٥، ص٢٢٢. اليمانى: إشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين، تحقيق عبد المجيد دياب، السعودية، ١٩٨٦، ص١١٣.

(٣) Albin Michel, Dictionnaire de l, Islam Religion et Civilisation Encyclopedia Universalis,Paris, 1997, p759. Bretschneider, Medieval Researches from Eastern Asiatic Sources,vol.2,London, 1937,p58.Vogelsang, The Rise and Organisation of the Achaemenid Empire,vol.3, New York, 1992, p73.

(٤) السمعانى: الأنساب، تعليق عبد الله عمر البارودى، جـ٤، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٨٤. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد، ١٩٥٤، ص٦-٥.

يشمل إقليم الصغد الأراضى الخصبة فيما بين نهرى جيحون[١] وسيحون[٢] التى تسقيها مياه نهرين[٣] هما زرافشان أى نهر الصغد[٤] وعليه

---

(١) نهر جيحون اسم أعجمى وقيل إن أصله بالفارسية حرون، وهو اسم وادى خراسان على وسط مدينة يقال لها جيهان، فنسبه الناس إليها وقالوا جيحون على عادتهم فى قلب الألفاظ. وعرف نهر جيحون باسم Oxus أوكسوس لدى الفرنجة، كما يسمى الآن آمودارياأى نهر آمو* وعموده نهر خرياب، ويخرج من بلاد وخان فى حدود بذخشان فتجتمع إليه أنهار فى حدود الختل والوخش فيصير منها هذا النهر العظيم إلى أعلى حدود بلخ ثم ينعطف إلى ناحية الشمال إلى أن يصير إلى ترمذ ثم منها إلى زم ثم إلى امل ثم إلى خوارزم** ويبلغ طوله ١١٥٠ميلا، وتبلغ مساحة حوضه نحو ٢٢١الف متر مربع***.

* النرشخى: تاريخ بخارى، ص٢٧.

** ابن حوقل: صورة الأرض،مطبعة بريل، ليدن،١٨٧٣م،ص٣٩٣ ابن خرداذبه: المسالك والممالك، بغداد، ص١٧٣. ابن رسته: الاعلاق النفيسة، ليدن، ١٨٩١، ص٩١. القزوينى: عجائب المخلوقات وغرائب الموجدات، دار التحرير، ص١٣٩.

*** أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى، جـ١، القاهرة، ١٩٧٠م،ص٦٦٦.

(٢) نهر سيحون اسم أطلقه العرب على نهر جكزرتس Jaxartes على أن اسم النهر الأكثر شيوعا عند العرب كان نهر الشاش وذلك لوقوع هذه المدينة بالقرب من ضفافه* وهو وراء نهر جيحون فيما يلى بلاد الترك، وبينهما مسافة خمسة وعشرين يوما** وهو الآن سيرداريا***.

* محمود شيت خطاب: بلاد ما وراء النهر،مجلة المجمع العلمى العراقى،جـ٤، مج٣٣، ١٩٨٢، ص١٢٥

** ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس،جـ٥، دار الثقافة. بيروت، ص٦٨.

*** أمين واصف: الفهرست معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، القاهرة، ١٩٣٤، ص٢٦.

(٣) مايل مروى: جغرافياى حافظ ابرو قسمت ربع خراسان، إيران، ١٣٤٩هـ، ص٥٣.

Dietrich Brandenburg, Samarkand Studien zur Islamischen Baukunst in Uzbekistan,Germany, 1972.p9.

(٤) نهر الصغد أو زرفشان(ناشر الذهب) على ما يسمى به اليوم، ينبع من الجبل الأوسط من جبال البتم ويجرى حتى يمر بسمرقند ثم إلى بخارى فإذا تجاوزها تفرق فى أرضها على-

كانت تقوم سمرقند، ويحف به قصور وبساتين وقرى مشتبكة العمائر ما مقداره اثنا عشر فرسخا[1] فى مثلها[2] والنهر المنساب حيال مدينتى كش

=المزارع والبساتين، ويسقط ما فضل منه فى مجمع كالبحيرة قريبا من بيكند إحدى مدن بخارى* ووادى الصغد مبدأه من جبال البتم على ظهر الصغانيان، وله مجمع ماء يعرف بجن مثل بحيرة حولها القرى، وتعرف الناحية ببرغر فينصب منها بين جبالها الماء حتى ينتهى إلى بنجيكث، ثم ينتهى إلى مكان يعرف بورغسر وتفسيره رأس السكر، ومنه تتشعب أنهار سمرقند ورساتيق تتصل بها من غربى الوادى من جانب سمرقند**. ومن بداية هذا الوادى إلى أن ينتهى إلى سمرقند زيادة على عشرين فرسخا وإذا جاوز سمرقند بنحو مرحلتين أنشعب منه نهر يعرف بفى، وليس بالصغد أوفر عمارة منه وهو ثلث الصغد، وينشعب من فى أنهار كثيرة، ثم ينشعب من وادى الصغد أنهار كثيرة على امتداده تجاه كل مدينة وبلدة ورستاق نهر حتى ينتهى من حد اربنجن إلى كرمينية وإلى حد بخارى، ومنها أنهار اربنجن وأنهار الدبوسية وأنهار كرمينية إلى أن ينتهى إلى بخارى. أما شرقى هذا الوادى فتنشعب الأنهار منه بحذاء سمرقند ومنها نهر كينجكث وأنهار أخرى لتلك القرى***.

* شيخ الربوة الدمشقى: نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، طبعة ليبزج، ١٩٢٣م، ص٢٢٣.

Pierre Chuvin, Samarkand, Bukhara, Khiva, 2002,p27.

** ابن حوقل: المصدر نفسه، ص٤٠٨.

*** ابن حوقل: المصدر نفسه، ص٤٠٩. صفى الدين البغدادى: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ص١٥٨.

(١) الفرسخ فارسى معرب أصله فرسنك، وقال اللغويون الفرسخ عربى محض يعادل ثلاثة أميال=١٢٠٠٠ذراعا=٥٥٤٤ مترا. البيهقى: معدن النوادر فى معرفة الجواهر، تحقيق محمد عيسى صالحية، دار العروبة، الكويت، ١٩٨٥، ص٥٣. زين العابدين شمس الدين نجم: معجم الالفاظ والمصطلحات التاريخية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٤٠٢. نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، ط٣، بيروت، ١٩٨٢، ص٦٣.

(٢) شيخ الربوة الدمشقى: نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، ص١٧٨.

ونسف[1]. ومع ذلك فإنه لمن الأوجه أن يعد الصغد اسما للرساتيق المحيطة بسمرقند[2].

يقع إقليم الصغد فى وسط مملكة ما وراء النهر[3] يحده من الشمال بلاد صغانيان[4]. وكش[5]، ونسف[6]، ومن الشمال الغربى خوارزم[7]، ومن

---

(١) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٣. دونالد هيل: العلوم والهندسة فى الحضارة الإسلامية، ترجمة أحمد فؤاد باشا، الكويت، ٢٠٠٤م، ص٢٣١.

(٢) إحسان ذنون عبد اللطيف الثامرى: الجغرافيا التاريخية لمدينة بخارى، الأردن، ١٩٩٩، ص٢٧. دونالد هيل: المرجع نفسه، ص٢٣١. لسترنج: المرجع نفسه، ص٥٠٣.

(٣) بلاد ما وراء النهر هو الاسم الذى أطلقه العرب على المنطقة الواقعة فى حوض نهرى امودايا (جيحون) وسيرداريا (سيحون)* وهو من أخصب أقاليم الدولة الإسلامية، وكانت هذه البلاد تسمى قديما بلاد الهياطلة أو توران أو تركستان**. وينقسم إلى خمسة أقسام: الصغد، وخوارزم، وصغانيان، وفرغانة، الشاش ***.

* أمين واصف: الفهرست معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، ص٢٦. بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ترجمة صلاح الدين عثمان، الكويت، ١٩٨١م، ص١٤٥.

** إحسان ذنون عبد اللطيف الثامرى: المرجع نفسه، ص٢٦.

*** محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، دار الفكر العربى، القاهرة، ص٨٥.

(٤) صغانيان: أحد أقاليم ما وراء النهر شديد العمار. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٣، ص٤٠٨، ٤٠٩

(٥) كش: قرية بما وراء النهر على ثلاثة فراسخ من جرجان على جبل. ياقوت الحموى. المصدر نفسه، مج٤، ص٤٦٢.

(٦) نسف: مدينة كبيرة والرستاق بين جيحون وسمرقند، وهى على مدرج بخارى وبلخ وهى فى مستواه، والجبال منها على مرحلتين فيما يلى كش. ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج٥، ص٢٨٥.

(٧) خوارزم: أحد أقاليم ما وراء النهر، وقصبتها الجرجانية، وهى ثمانون فرسخا فى ثمانين فرسخا. ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج٢، ص٣٩٥، ٣٩٧.

الجنوب طخارستان[١] ومن الشرق خجند[٢]، ومن الغرب بخارى[٣]. ومن الجنوب الغربى خراسان[٤] يفصل بينهما نهر جيحون[٥] ومساحته ستة وثلاثون فرسخا فى ستة وأربعين فرسخا أى ما يعادل ١٦٥٦فرسخا مربعا[٦]. والصغد أحد متنزهات الدنيا الأربعة التى هى: غوطة دمشق ونهر الأبلة، وشعب بوان، وسغد سمرقند. وهو أنزه الأربعة لأنه ممتد نحو خمسة أيام مشتبك الخضرة والبساتين، لا ينقطع ذلك فى موضع منه، حيث حفت تلك البساتين بالأنهار الدائم جريها، ومن وراء الخضرة من الجانبين مزارع[٧].

---

(١) طخارستان: ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد، من نواحى خراسان وهى تنقسم إلى طخارستان العليا والسفلى، فالعليا شرقى بلخ .أما السفلى فهى غربى جيحون إلا أنها أبعد من بلخ . ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج ٤،ص٢٣ .

(٢) خجند: بلدة بما وراء النهر على شاطئ سيحون، بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقا، وفى وسطها نهر جار، والجبل متصل بها. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢،ص٣٤٧.

(٣) بخارى: من أجل مدن ما وراء النهر، بينها وبين جيحون يومان، طولها سبع وثمانون درجة، وعرضها إحدى وأربعون درجة. ياقوت الحموى: المصدر نفسه،مج١،ص٣٥٣ .

(٤) خراسان: "خر" اسم للشمس بالفارسية الدرية و" اسان" أصل الشيء ومكانه. وقيل معناه كل سهلٍ لأن معنى" خر" كل و"اسان" سهل. وهى بلاد واسعة تشتمل على أمهات من البلاد، منها: نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ . ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج٢،ص٣٥٠.

(٥) شيخ الربوة الدمشقى: نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، ص١٧٨ . جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، جـ٢، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٤م، ص٣٩٧. على عبد السلام سيد أحمد: حركات المد العربى إلى بلاد ما وراء النهر خلال العصر الأموى، مجلة كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، العدد١٤، ١٩٩٦، ص١٦٥.

(٦) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٤٤. إحسان ذنون عبد اللطيف الشامرى: الجغرافيا التاريخية لمدينة بخارى، ص٢٧ .

(٧) القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٤، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، ص٤٣٣=

سمرقند قصبة الصغد[1]

تقع سمرقند جنوب وادى الصغد مرتفعة عليه[2] وبالتحديد على بعد ٧ كم جنوب الوادى[3]. حيث الطول ٩١ درجة و٥٢ دقيقة، والعرض

=اليمانى: إشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين، ص٩٩. على أكبر دهخدا: لغت نامه، زير نظر محمد معين، مج٢٩، تهران، ١٣٤٥، ص٦٢٥. ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد على أبى درة، جـ٢، مج٤، دار الجيل، بيروت تونس، ص١٠٧.

(١) سمرقند كلمة مركبة من' سمر' و'قند' والمقطع الأخير هو كلمة فارسية معناها المدينة، والمقطع الأول وحده لم يتفق على معناه، على أن كلمة سمر بالتركية تفيد ما يوضع على ظهر الدابة من بردعة وما إليها لربط الأثقال والأحمال، فعلى ذلك يكون المقصود بكلمة سمرقند المدينة العالية لكونها مرتفعة على وادى الصغد كبردعة الدابة. أبو الليث السمرقندى: خزانة الفقه وعيون المسالك، تحقيق صلاح الدين الناهى، مج١، بغداد، ١٩٦٥م، ص١٠.

(٢) ابن سعيد المغربى: سبط الأرض فى الطول والعرض، تحقيق خوان فرنيط خينيس، مطبعة كريمادس، المغرب، ١٩٥٨، ص١٠٧. أبو الفرج الأصفهانى: الأغانى، تحقيق عبد على مهنا = =وسميرجابر، جـ١، ط٢، دار الكتب العلمية. بيروت، ١٩٩٢، ص١٠٤. على بهجت: قاموس الأمكنة والبقاع التى ترد فى كتب الفتوح، القاهرة، ١٩٠٦، ص١٢٩

(٣) النرشخى: تاريخ بخارى، ص١٩، ١٨. وتقع مدينة سمرقند الآن فى جمهورية أوزبكستان*. واوزبكستان، بمعنى أرض الأزبك وهى كلمة فارسية من شقين: أزبك وتعنى سيد نفسه، وستان بمعنى الأرض. وكانت سمرقند عاصمة أوزبكستان عندما استولى عليها الروس(١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م)غير أنه بعد سنة(١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م) أصبحت العاصمة هى طشقند ولم تعد سمرقند أكثر من متحف للفن والعمارة**. وتعد أوزبكستان إحدى خمس جمهوريات إسلامية، هى: قازاقستان فى شمالها، وقيرغستان فى جنوبها الشرقى، وطاجيكستان وأفغانستان فى جنوبها، وتركمنستان فى غربها وتخلصت أوزبكستان فى سبتمبر(١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) من سيطرة الاتحاد السوفيتى بعد مدة تزيد على ٧٠ عاما***. =

٣٦درجة و ٣٠ دقيقة[١] أما عن مساحة سمرقند، فكانت أرباض المدينة بما فى ذلك المدينة نفسها تشغل مساحة مقدارها ستة آلاف جريب، والمدينة تشغل خمسة آلاف جريب[٢]، بينما شغلت المدينة الداخلة (الشهرستان) ألفين وخمسمائة جريب[٣].

كان أقدم وصف لمدينة سمرقند الإسلامية وفقا للمصادر الجغرافية هو أن

---

*Edward Lazzeri, Sengupta,The Formation of the Uzbek state,Journal of Asian His- = tory,vol.39,no.1,2005,p93.Timur Dadabaev, Post-Soviet Realities of Society in Uzbekistan, Centeral Asian Survey, vol.23, no.2, 2004,p148.

** إبراهيم إبراهيم عامر: العمارة فى سمرقند فى العهد التيمورى، ندوة الآثار الإسلامية فى شرق العالم الإسلامى، ١٩٩٨، ص,١١٩

James Bater, Russia and the Post Sovet Scene, London, New York,1996.p26. keith Mclachlan, The Boundaries of Modern Iran, New York, 1994,p14.

*** إبراهيم إبراهيم عامر: المرجع نفسه، ص١١٩. أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى: الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٤٧. محمد عبد القادر أحمد: الجمهوريات الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى بين الماضى والحاضر، القاهرة، ١٩٩٢، ص٢١٠.

(١) ابن سعيد المغربى: سبط الأرض فى الطول والعرض، ص١٠٧.

(٢) الجريب شأنه شأن مقاييس الطول والوزن. كان يختلف من قطر لآخر. والجريب عادة يساوى ثلاثة آلاف وستمائة ذراع مربعة*. والذراع تساوى ٨.٥١ سنتيمترا أى أنه أكثر من نصف المتر بقليل، ولهذا فإن الجريب يجب أن يكون أكثر من تسعمائة متر مربع بقليل**.

* الخوارزمى: مفاتيح العلوم، تحقيق فان فلوتن، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤، ص٦٦.

** بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص١٧١.

(٣) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٧. مرتضى راوندى: تاريخ اجتماعى إيران، جلد بنجم، جاب سوم، تهران، ١٣٧٢، ص٢٥٩.

سمرقند وضواحيها كان يحيط بهـا سور طولـه اثنا عشر فرسخا وبه اثنا عشر بابا، بين كل بابين فرسخ، وهى من حديد. وداخلها مـدينة أخرى لها أربعة أبواب[١] ولها قهندز" القلعـة القديمة"[٢] وأرباض وأسواق كبار. وفـيها ما فى المدن العظام من المحال والحمـامات والخانات والمساكن، ولها مـياه جارية تدخل إليها فى نهر بعـضه رصاص معلق[٣]. هذا وأولى الجغرافيـون اهتماما خاصا لوصف الشهرستان الذى به المسـجد الجامع والقلعة وقصر الإمارة[٤]. فكان لـه أربعـة أبواب، من ناحية الشـرق يقوم باب الصين عـلى مرتفع من الأرض، ومن ناحية الغرب يوجد باب النـوبهار أو باب الحديد، وإلى الشمال باب بخارى، والى الجنوب باب كش أو الباب الكبير[٥].

---

(١) صفى الدين البـغدادى: مراصـد الاطلاع، ص٧٣٦. لسترنج: بلدان الخـلافة الشرقـية، ص٥٠٧. مرتضى راوندى: تاريخ اجتماعى إيران، جلد بنجم، ص٢٥٩.

Barthold, An Historical Geography of Iran, translated by Svat Soucek , New Jersey,1984, p16.

(٢) مجهول المؤلف: تاريخ سيـستان، تصحيح ملك الشعراء بهار وبهمت مـحمد رمضانى، طهران، ١٩٣٥م، ص٢١٧.

(٣) الاصطخـرى: المسـالك والممـالك، دار القلم، ١٩٦١م، ص١٧٧. ابن حـوقل: صـورة الأرض، ص٤٠٦، ٤٠٥. القزوينى: آثار البلاد واخبار العباد، ص٥٣٦.

Barthold, OP Cit,p50 .Edgar Knobloch, Monuments of Central Asia A Guide to the Archaeology art and Architecture of Turkestan. London, 2001, p117.Var Javand with Keeler, Cities, The plendour of Iran, Islamic Period, vol.2, London, 2001, p85.

(٤) بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص١٧١.

(٥) الاصطخرى: المصدر نفسه، ص١٧٧. ابن الفقيه: كتـاب البلدان، مطبعة بريل، ١٨٩١م، ص٣٢٢

Dietrich Brandenburg, Samarkand, p16.

ويبدو أن سور الشهرستان تم تشييده فى الفترة السابقة للإسلام، ولزم لتشييده كمية هائلة من الطين حتى نشأ من ذلك خندق كبير؛ ولإيصال الماء عبر هذا الخندق بنيت مسناة عالية من الحجر يجرى عليها الماء من موضع الصفارين، وكان الماء يدخل المدينة[١] عند موضع يعرف برأس الطاق، كانت توجد به الأسواق الرئيسية ويتجمع فيه معظم سكان المدينة[٢]. وكانت مدينة سمرقند تسمى قديما مرقندا[٣] وتسمى أيضا فى بعض الكتب العربية "سمران"[٤] وزعم البعض أن اسم سمرقند يرجع إلى شمر بن افريقيس[٥]

---

(١) أبو الفدا: تقويم البلدان، طبعة باريس، ١٨٤٠، ص٤٩٣. ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار، تحقيق محمد عجاج الخطيب ومصطفى مسلم، جـ٣، الإمارات، ٢٠٠٤م، ص١٦٤.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤٠٧. ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار، جـ٣، ص١٦٤. بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص١٧٣، ١٧٢. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٧.

(٣) أمين واصف: الفهرست معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، ص٥٨. إيرين فرانك: طريق الحرير، ترجمة أحمد محمود، المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧م، ص٤٠. على اكبر دهخدا: لغت نامه، ص٦٢٥.

Monuments of Central Asia,P74.Edgar Knobloch, Turkestan, Taschk- Edgar Knobloch, ent, Buchara, Samarkand, Ansbach,London,1973, ,p145. Vogelsang, The Rise and Organisation of the Achaemenid Empire,p287.

(٤) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، تحقيق حسن محمد الشماع، مج٥، جـ ١، ١٩٧٠، ص ٢١٢. أبو الفرج الأصفهانى: الأغانى، جـ١، ص١٠٤. أمين واصف: المرجع نفسه، ص٥٨.

(٥) شمر يرعش بن افريقيس بن أبرهة بن الحارث الحميرى(دولة حمير حكمت من سنة ١٧٥ : ٥٢٩م) غزا شمر يرعش من اليمن فى جنود كثيرة حتى دخل ارض بابل وتوجه يريد الصين، وافتتح المدائن والحصون ودخل الصغد فى القرن الرابع الميلادى فهدمها=

الذى هدمها فسميت شمركند، فعربته العرب فقالوا سمرقند. وبناها بعده تبع الأقرن[1] وزعموا أيضا أن على بابها الكبير صفيحة من حديد عليها كتابة زعم أهلها أنها بالحميرية ومن صنعة تبع[2]. وبعض الكتابة: " أن من صنعاء إلى سمرقند ألف فرسخ "[3] وإلى ذلك أشار دعبل الخزاعى فى قوله من قصيدته التى افتخر فيها على الكميت:

=فسميت سمركند بلغة العجم أى شمر أخربها، فعربتها العرب. وقيل هو أول من أمر ببنائها فسميت به، وكتب على بابها بالحميرية فى صخرة مبنى عليها سورها " هذا ملك عرب لا عجم، شمر يرعش الملك الأشم، فمن بلغ هذا المكان فهو مثلى ومن جاوزه فهو أفضل منى" الحميرى: الروض المعطار فى خبر الأقطار، بيروت، ١٩٧٥، ص ٣٢٢. نشوان بن سعيد الحميرى: ملوك حمير واقيال اليمن، تحقيق السيد على بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل ابن أحمد الجرافى، القاهرة، ١٣٧٨، ص٩٤، ٩٣. القسى: شرح مقامات الحريرى، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، مج٢، ص٣٣١. محمد غنيم: خلاصة الكلام فى تاريخ الجاهلية والإسلام، جـ١، القاهرة، ١٣١٦، ص٧٤.

(١) الأصفهانى: تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، بيروت، ١٩٦١، ص١٠٨. البكرى الأندلسى: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، جـ٣، ط ٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣، ص٧٥٥. القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٣٦، ٥٣٥. مستوفى قزوينى: نزهة القلوب، المقالة الثالثة در صفت بلدان وولايات وبقاع، مطبعة بريل، ليدن، ١٩١٣، ص٢٤٥. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص١٠.

Philby, The Background of Islam,Alexandria, 1947,p132.

(٢) ومن الجدير بالذكر أن الباب الذى كانت عليه الصفيحة احترق، ثم أعاده بعد ذلك أبو المظفر محمد ابن لقمان بن نصر بن أحمد السامانى حديدا، كما كان من حديد وتغيرت الصفيحة . ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار، جـ٣، ص١٦٥. القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٤، ص٤٣٦.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، تقديم خليل شرف الدين، جـ٦، بيروت، ١٩٩٩، ص١٩٦.

وهم كتبوا الكتاب بذات مرو وباب الصين كانوا الكاتبين

وسمى سمرقند بشمركند وهم غرسوا هناك الثابتين[1]

كشفت الحفريات أن أولى المستوطنات فى أراضى سمرقند المعاصرة ظهرت فى بداية القرن(٧ق.م) فى سفوح تلال افراسياب[2]، وما لبثت هذه المستوطنة الصغيرة بحلول منتصف الألف الأولى قبل الميلاد أن أصبحت مدينة بأسوار محصنة قوية، ومعابد أثرية وعدد غفير من الصناع الحرفيين. وفى تلك الأيام كانت المدينة تحت سيطرة الحكام الإيرانيين من سلالة الاخمنيين. وسرعان ما غزت قوات الإسكندر الأكبر مدينة سمرقند سنة(٣٢٩ق.م)، وبعد الإسكندر رضخت المدينة لحكم دولة الإغريق[3].

لم تلبث سمرقند أن فتحت صفحة جديدة من تاريخها خلال القرنين (٣،٢هـ/ ٨،٩م) عندما وصلت إليها الفتوحات الإسلامية، وحاصرها والى خراسان سعيد بن عثمان[4] وفتحها قتيبه بن مسلم الباهلى فى عهد الوليد بن

---

(١) شيخ الربوة الدمشقى: نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، ص٢٥٤. المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، جـ١، ١٩٩٧، ص٣٢٣. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص١٠.

(٢) تقع تلال افراسياب شمال شرق حافة سمرقند.

Ludmila Sokolovskaia and Axelle Rougeulle, Stratified Finds of Chinese Porcelains from pre-Mongol Samarkand ,Afrasiab,Bulletin of the Asia Institute, voL.6,1992,P87.Shishkina, Ancient Samarkand, Capital of Soghd, Bulletin of the Asia Institute, vol.8, 1994, p81

(٣) فيتالى نومكين: سمرقند، ترجمة صلاح صلاح، الإمارات أبو ظبى، ص١٣، ١٤.

Guitty A Zarpay, Sogdian Painting, U.S.A,1981, P3.John Lawton, Travel to Landmarks Samarkand and Bukhara, London, 1991, p41.

(٤) البلاذرى: فتوح البلدان، تعليق رضوان محمد رضوان، المطبعة المصرية، ١٩٣٢، ص٤٠١. الكرديزى: زين الأخبار، ترجمة عفاف السيد زيدان، القاهرة، ١٩٨٢، ص١٧٣.

Frye, The Golden Age of Persia, London, 1977,p76

عبد الملك(٩٤هـ/ ٧١٢م) وبنى بها مسجدا[١]. ومنذ ذلك الوقت، أصبحت ثقافة المدينة ونمط حياتها وحتى مظهرها جزءا من العالم الإسلامى[٢]. وسرعان ما وصلت سمرقند إلى أعلى مدارج الإعمار والازدهار فى عهد السامانيين، وبقيت على هذه الحال فى عهد السلاجقة والخوارزميين[٣] واتخذها محمد خوارزمشاه عاصمة لدولته[٤].

شبهها الحصين بن المنذر الرقاشى فقال كأنها السماء للخضرة وقصورها الكواكب للاشراف ونهرها المجرة للاعتراض وسورها الشمس للاطباق[٥].

ومن شدة افتتان العرب بسمرقند وصفها أبو الفتح البستى(ت ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) فقال:

---

(١) البغدادى: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق محمد نبيل طريف، جـ٩، بيروت، ١٩٩٨، ص٨٦. البلاذرى: فتوح البلدان، ص٤١٠. ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ،ص٢٩٣. الصنعانى: مسالك الابصار فى ممالك الأمصار، تحقيق محمد بن على بن الحسين الاكوع الجوالى، بيروت، ١٩٨٥، ص١٨٤، ١٨٣. الكاشى: مفتاح الحساب، تحقيق أحمد سعيد الدمرداش ومحمد حمدى الحفنى، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٣.

Travel to Landmarks Samarkand The Golden Age of Persia,p81. John Lawton , Frye, and Bukhara ,p25.

(٢) فيتالى نومكين: سمرقند، ص١٤.

(٣) الثعالبى: تاريخ غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، طهران، ١٩٦٣، ص٤١٤. النرشخى: تاريخ بخارى، ص١٩. على اكبر دهخدا: لغت نامه، مج٢٩، ص٦٢٥.

Wilfrid Blunt, The Golden Road to Samarkand, p11

(٤) خواندمير: تاريخ حبيب السير فى أخبار أفراد البشر، جـ١، جلد ٣، ١٣٣٣هـ، ص٣٠

(٥) الثعالبى: لطائف المعارف، القاهرة، ١٩٦١، ص٢١٧. ابن الفقيه الهمذانى: كتاب البلدان، ص ٣٣٧. مستوفى قزوينى: نزهة القلوب، المقالة الثالثة در صفت بلدان وولايات وبقاع، ص٢٤٥.

النـاس فـى أخـراهـم جنـة وجـنـة الـدنيا سمـرقنـد

يا من يساوى أرض بلخ بها هل يستوى الحنظل والقند[١]

بينما يرجع سبب الخراب الوقـتى الذى حل بسمرقند إلى المغول، الذين خربوا البلد ودمـروها سنة(٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)[٢] حتى أن ابن بطوطة لما زارها فى المائة التالية لذلك الزمن، قال فيها: " لا سور لها ولا أبواب عليها، وأكثر دورها خراب والقليل منها آهل" ومع ذلك استعـادت سمرقند مجدها السابق بعد قليل، وذلك فى ختام المائة الثامنة حين اتخذهـا تيمور عاصمة لـه فجدد البلد وشيد المساجد[٣].

أما بالنسبة لرساتيق سمرقند فكانت جلها فى شرقها وجنوبها، وبعضها فى شمال نهر السـغد، وكلها خصبة وافرة الخيرات، فـعلى تسعة فراسخ من شرق سمرقند مدينة بنجيكث (ما زالت قائمة حتى اليوم باسم بنجكند)، وبها منبر وهى عامرة حسنة البقعة، ولها رستاق كبير ينسب إليها. وبين هذه المدينة وسمرقند مـدينة ورغسر، وهى مدينة صغـيرة كثيرة المتنزهات غـزيرة الفواكه ولها رستاق يخرج إليها خليج من نهر سمرقند فيسقى جميع مزارعه وغلاته، وبينه وبين سمرقند أربعة فراسخ[٤].

---

(١) الجوينى: تاريخ جهانكشاى، ترجمة محمد التونجى، مج١، دار الملاح للطباعة، ١٩٨٥، ص١٢٥.

(٢) Survey of Per- Bıetrich Brandendenburg ,Samarkand, p7.Pope, Phyllis Ackerma, A sian Art,vol.1,c2, Oxford, London,1967,p91.

(٣) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، تحقيق طلال حـرب، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص٣٩١ .لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٨.

(٤) الإدريسى: نزهة المشـتـاق فى اخـتراق الآفـاق مج١،عـالم الكتب، بيـروت، ١٩٨٩، ص٥٠٢. محمود شـيت خطاب: بلاد ما وراء النهر،ط٤، بيروت، ١٩٩٠م، ص٩٦، ٩٧.

وفى الناحيـة الجنوبية رستـاق مايمـرغ فيه قريـة ريودد على فرسخ من سمرقند، ويجاوره رستاق سنجرفغن. وليس فى جميع الرساتيق أكثر أشجارا وخيرات منه. وإلى جنوبـه، الرستاق الجبلى المعروف بجـبال الساودار، وهو أصح رسـاتيق الإقليم هواء، وكـانت الأودية التى فى هـذه الجبـال فى غـاية الخـصب، وعلى أنهـارها تنبث القـرى. ورسـتـاق الدرغم أزكى الرسـاتيق وأكثرهن مراعٍ ومياه. وعلى حده كان رسـتاق أوفر أو أبغر وهو رستاق عامته مبـاخس، كثير القـرى، أهله أصحاب مـواش، قطره نحو فرسـخين. وهذا الرستاق هو آخر الرساتيق فى جنوب سمرقند والنهر[١].

أما محال "أحياء" سمرقند فأشهـرها محلة اسفزار بالشهرستان وكان به قصر للسامانيين[٢] ومحلة جاكرديزه[٣] كانت بها مقبرة كبيرة مشهورة للعلماء والكبـار، وهذه المقـبرة لا تزال قـائمـة وتقع فى القـسم الشـرقى من المدينة الحالية[٤] ومحلة غـانفر[٥] ومحلة غـرجمين (اوكرجـمين) وكان بها قـصر لطمغاج خـان بن الحسين[٦] ومحلة مـاتريد أو ماتريت بالربض ومكانه الآن قرية إلى الشمـال الغربى من المدينة[٧]. وإلى جانب هذا وجـد ثلاثة شوارع رئيسية بالمدينة، هى: شارع عبـدك، وشارع صالح بحى غاتفر، وشارع حائط حيان[٨].

---

(١) لسترنج: المرجع نفسه، ص٥٠٩.

(٢) بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص١٧٨.

(٣) ابن الأثير: اللبـاب فى تهذيب الأنساب، جـ١، دار صـادر، بيروت، ١٩٨٠، ص٢٥٢. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص٩٥.

(٤) بارتولد: المرجع نفسه، ص١٧٨.

(٥) ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج٤، ص١٨٤

(٦) بارتولد: المرجع نفسه، ص ١٧٨، ١٨١.

(٧) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص٣٢. بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص١٨١.

(٨) بارتولد: المرجع نفسه، ص١٨١.

بينما كانت قرى سمرقند كثيرة، أهمها قرية إبذج عند الجبل[١] وقرية ارخس على أربعة فراسخ من سمرقند عند جبل شاوذار[٢] وإسبسكث قرية على فرسخين من سمرقند[٣] وقرية استان على ثلاثة فراسخ من سمرقند[٤] وقرية أسمند[٥]، واشتابديزة قرية كبيرة بسمرقند متصلة بباب دستان[٦] وقرية انداق على بعد ثلاثة فراسخ من سمرقند[٧] وقرية بادن[٨] وقرية برداد على ثلاثة فراسخ من سمرقند[٩] وقرية بنجيكث على ستة فراسخ من سمرقند[١٠] وقرية تخسيج على خمسة فراسخ من سمرقند[١١] وقرية توذ على ثلاثة فراسخ من سمرقند[١٢] وقرية توسكاس على فرسخ من سمرقند[١٣] وقرية

---

(١) ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج١، ص٢٨٩

(٢) السمعانى: الأنساب، جـ١، ص١٠٥. ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج١، ص١٤٥

(٣) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ١، ص٥٠. ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج١، ص١٧٢

(٤) السمعانى: المصدر نفسه، جـ١، ص١٢٩. السيوطى: لب اللباب فى تحرير الأنساب، بيروت، ١٩٩١م، ص١٢. العسقلانى: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، جـ١، بيروت، ص٤٨.

(٥) السيوطى: المصدر نفسه، ص١٣٠. القرشى: الجواهر المضية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، جـ٤، ط٢، القاهرة، ١٩٩٣، ص١٣٦

(٦) البغدادى: مراصد الإطلاع، مج١، ص٨٠

(٧) ابن الأثير: المصدر نفسه، جـ١، ص٨٧. ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج١، ص٢٦٠.

(٨) ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج١، ص٣١٧

(٩) ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج١، ص٣٧٥.

(١٠) ابن الأثير: المصدر نفسه، جـ١، ص١٨٠ السمعانى: المصدر نفسه، جـ١، ص٤٠١

(١١) السمعانى: المصدر نفسه، جـ١، ص٤٥٠. ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج١، ص١٧

(١٢) السمعانى: المصدر نفسه، جـ١، ص٤٩١.

(١٣) السمعانى: المصدر نفسه، جـ١، ص٤٩٢

خزاند على بعد فرسخين من سمرقند[١] وقرية خرقان على بعد ثمانية فراسخ من سمرقند[٢] وقرية درزيو على ثلاثة فراسخ من سمرقند[٣] وقرية ديزكك لها رباطات ونهر جار[٤] وقرية رخينون على ثلاثة فراسخ من سمرقند[٥] وقرية ساغرج على خمسة فراسخ من سمرقند[٦] وقرية سنكديزه[٧] أو الرضراضة بالعربية أى الحجارة الصغيرة[٨] وقرية فنك على نصف فرسخ من سمرقند[٩] وقرية فرجيا من قرى سمرقند[١٠] وقرية قطوان على خمسة فراسخ من سمرقند[١١] وقرية قنطرة سمرقند وتسمى رأس القنطرة، وكان اسمها قديما خشوفغن[١٢] وقرية كبوذ قرية على أربعة فراسخ من سمرقند[١٣] وقرية كدن[١٤] وقرية ماجندان على خمسة فراسخ من

---

(١) ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج٢، ص٣٦٧

(٢) السيوطى: المصدر نفسه، ص٩٠. ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج٢، ص٣٦٠.

(٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص٤٥٠.

(٤) ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج٢، ص٥٤٣.

(٥) ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج٣، ص٣٩.

(٦) السيوطى: لب اللباب فى تحرير الأنساب، ص١٣٠. القرشى: الجواهر المضية، جـ٤، ص٢٢٥.

(٧) السيوطى: المصدر نفسه، ص١٤٢. ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج٣، ص٢٦٤

(٨) بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص١٧٨.

(٩) البغدادى: مراصد الإطلاع، مج٣، ص١٠٤٥.

(١٠) البغدادى: المصدر نفسه، مج٣، ص١٠٢٤

(١١) النجاشى: الرجال، جابخانه مصطفوى،ص٣٢١. ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج٤، ص٣٧٥

(١٢) البغدادى: المصدر نفسه، مج٣، ص١١٢٧. السيوطى: المصدر نفسه، ص,٢١٣

(١٣) البغدادى: المصدر نفسه، مج٣، ص١١٤٧. السيوطى: المصدر نفسه، ص,٢١٩

(١٤) ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج٤، ص٤٢٢.

سمرقند[1] وقرية مزنوى على أربعة فراسخ من سمرقند[2] وقرية وذار على أربعة فراسخ من سمرقند، فيها منارة وجامع وحصن حسن وهى كبيرة كثيرة البساتين والزروع فى سهل وجبل ومباخس[3] وقرية ورغسر عندها مقاسم مياه الصغد وفيها كروم وضياع[4].

مدن الصغد

هذا الإقليم يضم عدة مدن أولها ان جزت كرمينية، الدبوسية ثم اربنجن والكشانية واشتيخن وسمرقند[5] وكرمينية كانت تدعى فى الأصل باديه خردك (أى حرفيا الجرة الصغيرة)[6] وهى بلدة كثيرة الأشجار والثمار، تقع بين بخارى وسمرقند وتبعد عن بخارى ثمانية عشر فرسخا[7] يقول السمعانى إنه سمع: أبا تراب على بن طاهر الكرمينى يقول: "بلدتنا كرمينية فان العرب فى الفتوح لما رأوها قالوا: هى كأرمينية شبهوها فى الحسن وكثرة المياه والخضر بارمينية[8] ثم حرف اللفظ إلى كرمينية، وكانت تعرف قديما

---

(١) ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج٥، ص٣٣.

(٢) ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج٥، ص١٢٢.

(٣) ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج٥، ص٣٦٩. محمود شيت خطاب: بلاد ما وراء النهر، ص٩٨.

(٤) السيوطى: المصدر نفسه، ص٢٧٤. ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج٥، ص٣٧٢.

(٥) الاصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٧٧. ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤٠٥. أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٤٨٥.

(٦) بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص١٩٠.

(٧) البغدادى: مراصد الإطلاع، مج٣، ص١١٦٢. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبى سعيد بن غرامه العمرى، جـ١، دار الفكر العربى، بيروت، ١٩٩٥م، ص١٩٠. أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٩١. النرشخى: تاريخ بخارى، ص٢٧. عبد البارى محمد الطاهر: خراسان وما وراء النهر، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٤٢.

(٨) السمعانى: الأنساب، جـ٥، ص٥٨.

باسم بادية خردك وتسمى أيضا نشر، ولها قرى كثيرة منها خديمنكين وتبعد عنها بفرسخ واحد وبها مسجد جامع كبير وتتبعها أيضا ارفود[1] وقرية كمنده[2] استولى عليها الخراب[3].

أما دبوسية فهى بليدة بين بخارى وسمرقند جنوبى وادى الصغد[4] كثيرة البساتين والثمار، ولها قرى ومزارع وعمارات حسنة ولها سور تراب وبها مياه جارية، ومن الدبوسية إلى اربنجن خمسة فراسخ[5].

واربنجن بليدة من سغد سمرقند وبعضهم يسقط الألف ويقول ربنجن، تقع جنوب وادى الصغد وهى أكبر من دبوسية[6]. وهى مدينة متوسطة المقدار فيها أسواق وعمارات وتجارات وصنائع، ولها مزارع متصلة وبساتين، ومنها إلى سمرقند فرسخان[7] استولى عليها الخراب ونهبها صاحب خوارزم[8]، ومن قراها سكان[9].

---

(١) السمعانى: المصدر نفسه، جـ٢، ص٣٣٢. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص٣٤٩.

(٢) البغدادى: المصدر نفسه، مج٣، ص١١٧٨.

(٣) السمعانى: المصدر نفسه، جـ٥، ص٥٨

(٤) أبو الفدا: المصدر نفسه، ص٤٩١.

(٥) الإدريسى: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مج١، ص ٤٩٧.

(٦) البغدادى: المصدر نفسه، مج٣، ص١١٦٦. السمعانى: المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٤. أبو الفدا: المصدر نفسه، ص٤٩٣. القرشى الجواهر المضية، جـ٤، ص١٣٠. النرشخى: المصدر نفسه، ص١٠٠.

(٧) الإدريسى: المصدر نفسه، مج١، ص ٤٩٧.

(٨) البغدادى: المصدر نفسه، مج٣، ص١١٦٦. السمعانى: المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٤. أبو الفدا: المصدر نفسه، ص٤٩٣. القرشى: المصدر نفسه، جـ٤، ص١٣٠. النرشخى: المصدر نفسه، ص١٠٠.

(٩) السمعانى: المصدر نفسه، جـ٣، ص٢٦٥.

والكشانية بليدة بنواحى سمرقند من بلاد الصغد بينها وبين سمرقند اثنا عشر فرسخا وهى أعمر مدن الصغد، وهى واشتيخن متقاربتان فى الكبر غير أن قصبة الكشانية أكبر وقراها أعظم، والكشانية قلب مدن الصغد وأعمرها[١] ومن أهم قراها إسميثن[٢] وكلاهما شمال وادى الصغد أما اربنجن ودبوسية فيقعان جنوب الوادى[٣].

بينما كانت اشتيخن مدينة منفردة على غاية النزهة وكثرة البساتين والقرى والرياض، ولأشتيخن قهندز فى المدينة وربض وأنهار مطردة وأسواق، وهى على بعد سبعة فراسخ من سمرقند، ولها رساتيق وقرى وهى فى غاية النزهة والخصب والأشجار والثمار ولها مدينة وقهندز وربض وأنهار، وبينها وبين كشانية خمسة فراسخ[٤] ومن أهم قراها زار[٥] وزاور[٦] ورستغفر[٧].

خلاصة القول تمتع إقليم الصغد بصفة عامة وسمرقند بصفة خاصة بموقع جغرافى ممتاز؛ مما جعله قبلة للعلماء وطلاب العلم خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين.

---

(١) الإدريسى: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مج١، ص٥٠٣. أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٤٩٣. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص٤٦١

(٢) السمعانى: الأنساب، جـ١، ص١٥٦

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤١٢.

(٤) الإدريسى: المصدر نفسه، مج١، ص٥٠٣. البغدادى: مراصد الاطلاع، مج١، ص٨. ابن حوقل: المصدر نفسه، ص٤١٢، ٤١١. أبو الفدا: المصدر نفسه، ص٤٩١.

(٥) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ٢، ص٥٢. ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج٣، ص١٢٦

(٦) ابن الأثير: المصدر نفسه، جـ٢، ص٥٤.

(٧) السمعانى: المصدر نفسه، جـ٣، ص٦٢.

الحالة السياسية فى مدن الصغد منذ قيام الدولة السلجوقية حتى الغزو المغولى

• إقليم الصغد فى عهد القراخانيين[1]

تعرف هذه الدولة فى بعض كتب التاريخ باسم دولة آل افراسياب[2] ودولة خانات تركستان أو الدولة الخاقانية أو الايلك خانية، وهم سلسلة من الملوك الترك المسلمين الذين حكموا بلاد ما وراء النهر زهاء ٢٣٠سنة(٣٨٠ - ٦٠٩هـ/ ٩٩٠ - ١٢١٢م)، وذلك بعد الدولة السامانية[3] وقبل الغزو

---

(١) القره خانيون: لقب أعطاهم إياه المستشرقون لكثرة ورود كلمة قره فى ألقابهم وتعنى أسود أو قوى، ولا شأن لها فى التاريخ، بينما ورد لفظ قره باللغة التركية بمعنى قبيلة.

Bosworth, The Islamic Dynasties, London, 1967. p113.Savvides, Alexis, Some Notes on the terms Khan and Khagan in Byzantine Sources, Studies in Honour of Bosworth vol.1, Leiden, 2000, p271.

(٢) افراسياب بطل اسطورى ورد ذكره فى الشاهنامة للفردوسى ويعتبره الطورانيون جدا لهم. وبيت افراسياب أسرة تركية الأصل من قبيل القارلوق أو القرلق، ومن المحتمل أن يكون لها صلة بالجد توران الذى ذكر فى الشاهنامة. وكان لجماعته دورها فى التاريخ القديم للشعوب التركية، أو لها صلة بزعماء الترك الذين كانوا يحكمون قبل إسلامهم. الفردوسى: الشاهنامه، ترجمة الفتح بن على البندارى وعبد الوهاب عزام،جـ١ ،ط٢، دار سعاد الصباح،١٩٩٣م،ص ٨١. شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامى ورجالها، جـ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣، جـ٢، ص٨٩٨.

Bosworth, OP.Cit , p113.Francis Henry Skrine and Ross, The Heart of Asia, London, 1899 p115.

(٣) نظامى العروضى السمرقندى: جهار مقاله، ترجمة عبد الوهاب عزام و يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٤٩م، ص١٤١. سليم نيسارى: تاريخ أدبيات إيران بعد از إسلام، تهران، ١٣٢٥، ص٧٣.

Bosworth, The Heritage of Rulership in Dynastic Connections with the Past, Journal of the British Institute of Persian Studies,vol.11,1973, p61.

المغولى، فهم الذين قضوا على الدولة السامانية فى بلاد ما وراء النهر وقضى عليهم الخوارزمشاهيه[١].

حكمت هذه الدولة فى أراضى آسيا الوسطى المطوقة بجبال تيانشان (أى فى التركستان الغربية ما وراء النهر، والشرقية كاشغر) والتاريخ الأول لجماعات الخاقانية غامض والغالب أنه لم يكتب إلا بعد دخولهم الإسلام فى القرن (٤هـ/ ١٠م) وكان أول إسلامهم فى الفترة التى دخل فيها زعيمهم ساتوق بغراخان سنة(٣١٥هـ/ ٩٢٧م)[٢] الذى يعد المؤسس الأول لدولة القراخانيين[٣].

ثم استطاع هارون بغراخان[٤] حفيد ساتوق، بسط نفوذه على جميع القبائل التركية فى وادى سيحون، وبدأ بتهديد الدولة السامانية،حيث كانت الأراضى الخصبة فى الجنوب دافعا قويا أثناء ضعف السامانيين لتحرك القراخانيين جنوبا بزعامة هارون بغراخان، لسد الفراغ الذى تركه ذلك الضعف فى الجو السياسى، واحتل سمرقند سنة (٣٨٢هـ/ ٩٩٢م) وبعد ذلك استولى على ما وراء النهر كله، وصار نهر جيحون هو الحد الفاصل بينه وبين

---

(١) نظامى العروضى السمرقندى: المصدر نفسه،ص١٤١. عبد العظيم رضايى: تاريخ ده هزار ساله إيران از سلسلة غزنويان تا انقراض صفوية، جلد٣، جاب بنجم، ١٣٧٣، ص٥١ .

(٢) شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامى ورجالها، جـ٢، ص٨٩٨.

Bosworth, The Islamic Dynasties, p113. Francis Henry Skrine and Ross, The Heart of Asia ,p119.Svat Soucek, A History of Inner Asia, Cambridge, 2000, p84.

(٣) عبد العزيز جنكيزخان: تركستان قلب آسيا، الجمعية الخيرية التركستانية،١٩٤٥،ص٤٨

Francis Henry Skrine and Ross , OP.Cit, p114.

(٤) بغراخان: يسمى على الأصح بقرا أو بخرا، وهو اسم الناقة فى اللغة التركية الشرقية. حمد الله مستوفى القزوينى: تاريخ كزيدة، ترجمة محمود مرسى قشطة، رسالة ماجستير بآداب عين شمس،١٩٦٨م، ص٢٤.

جيرانه الغزنويين فى الغرب الذين شاركوه فى الاستيلاء على أملاك السامانيين[١].

ظلت حدود الايلك خانيين هى نهر جيحون وأراضيهم فى بلاد ما وراء النهر بعد ذلك حوالى القرنين، ويظهر أن هذه الدولة لم تحكم كدولة موحدة أبدا، ولكن كأرض لزعماء من تحالف قبلى واحد ذى حكم لا مركزى وعلاقات واهية. فقامت منذ سنة (٤٠٧هـ/ ١٠١٦م) حروب ضروس بين أفراد الأسرة استمرت حتى سنة (٤٣٣هـ/ ١٠٤١م) واقتسمت خلالها الدولة بين فرعين من فروع أسرة أفراسياب[٢].

* فرع للخانات الغربيين فى سمرقند ويضم بلاد ما وراء النهر غربى فرغانة حتى خجند.

* وفرع للخانات الشرقيين يضم اسبيجاب والشاش وشرقى فرغانة حتى كاشغر[٣]. حكم الفرع الأول على بن موسى وسلالته (وهو الفرع الايلكى)

---

(١) شاكر مصطفى: المرجع نفسه، جـ٢، ص٨٩٩. محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول، القاهرة، ١٩٨٥، ص١٦٢، ١٦١.

Barthold, Four Studies on the History of central Asia, translated by Minorsky, vol.I, Leiden, 1962, p22. Edgar Knobloch, Turkestan, Taschkent, Buchara, Samarkand, pp42,43.Bosworth, The Development of Persian Culture under the Early Ghaznavids ,Journal of the British Institute of Persian Studies,vol.6, 1968,p36.

(٢) شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامى ورجالها، جـ٢، ص٨٩٩.

Barthold, Four Studies on the History of central Asia ,p22.

(٣) Bosworth, The Islamic Dynasties, p113. Davidovich, The Karakhanids History of civilization of central Asia, vol.4, Unesco, 1992, p126.Henri Stierlin, Islamic art and Architecture from Isfahan to the Jaj Mahal, Italy, 2002, p25. Svat Soucek, A History of Inner Asia, p84.

فى الغـرب فى حين حكم الفـرع الشـرقى أسرة ابن عـمه هارون أو حـسن بغراخان (آل حسن) فى الشرق[١].

كان التنافس طبيـعيا بين الفرعين، وكـانت المنطقة الوسطى من حوض نهر سـيحون هى مـجال الخلاف والحـروب، لكن ظهور السلاجـقة فى تلك الفترة بعد مطلع القرن الخامس الهجرى أبعد هذه المنافسات القبلية التركية عن مراكز الاهتمام، بعد أن كانت مـركز اهتمام وتدخلات السلطان الغزنوى قبل ذلك وسبب الحروب معهم[٢].

مما يجدر الإشارة إليه أن بداية العلاقات بين القراخانيين وبين السلاجقة بدأت بالعداوة وذلـك عندما اشتـبك الأميـر القراخانى ناصـر الدولة يوسف قـدرخـــان بن هارون بغـراخـــان (٤٠٤ - ٤٢٣هـ/ ١٠١٣ - ١٠٣١م) مع السلاجقة فى عدة حروب، وكانوا قـد أقاموا فى بلاده واحتموا به، لكنه غدر بهم وأسر طغـرلبك فثار أخوه جـغرى بك داود، وسار لمحاربتـه واستطاع أن يخلص أخاه من الأسر. كان ذلك أول صدام بين السـلاجقة والقراخانيين فى تركستان[٣].

حرص القـراخانيون على توطيـد علاقتـهم بأمراء السلاجـقة فتـحالف

---

(١) الكرديزى: زين الأخـبار، ترجمـة عفـاف السيد زيـدان، القاهرة، ١٩٨٢، ص٣٠٣ - ٣٠٦. بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص٤٢١ .

Bosworth, The New Islamic Dynasties,NewYork, 1996,p181

Davidovich, , OP.Cit, p126,127.

(٢) شاكر مصطفى: المرجع نفسه، جـ٢، ص٩٠٠.

(٣) المقريزى: السلوك، تحـقيق محـمد عبد القـادر عطا، جـ١، بيروت، ١٩٩٧، ص١٣٦، ١٣٧. أحمد كمال الدين حلمى: السلاجـقة فى التاريخ والحضارة، الكويت، ١٩٧٥م، ص٢٤. محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الاول، ص١٦٣.

بغراخان معهم وأخذ يحرضهم على الإغارة على أملاك السلطان مسعود بن محمود الغزنوى، فلما دخل طغرلبك خراسان سنة(٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م) بعث إليه برسالة وعده فيها بمده بالرجال والعتاد[١] ومما قاله فيها: " اصمدوا ورابطوا حتى نرسل لكم أى عدد من الرجال تريدون"[٢].

على أن العلاقات بين السلاجقة والقراخانيين ما لبثت أن تغيرت حين سعى السلاجقة إلى السيطرة على بلاد ما وراء النهر حيث تقع البلاد الخاضعة لحكم القراخانيين، ففى سنة (٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م) قام السلطان ألب أرسلان بهجوم على أراضى طمغاج خان إبراهيم حاكم سمرقند. فتنازل الخان طمغاج خان إبراهيم وهو على قيد الحياة عن العرش لابنه شمس الملك[٣]، فأشعل أخوه شعيث نار الثورة ضده فأصبحت سمرقند مسرحاً للقتال بين الأخوين وذلك فى نفس العام الذى توفى فيه والدهم(٤٦١هـ/ ١٠٦٨م)، وانتهى الأمر فى صالح شمس الملك[٤]. وفى عهده قام السلطان ألب أرسلان سنة (٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م) بحملة على بلاد ما وراء النهر فى جيش ضخم لقتال شمس الملك حاكم سمرقند[٥] لكن الحملة توقفت منذ البداية بسبب موت

(١) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول، ص١٦٣.

(٢) البيهقى: تاريخ البيهقى، ترجمة يحيى الخشاب، وصادق نشأت، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢م، ص٣٣.

(٣) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٠، ص٢٤٨.

(٤) بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص٤٦٢.

(٥) ابن العديم: بغية الطلب فى تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، جـ٤، دمشق، ١٩٨٨م، ص١٩٨٣. نظام الملك: سياست نامه، ترجمة السيد محمد العزاوى، القاهرة، ١٩٧٥، ص١٣١. أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص٣٦.

Boyle, The Saljuq and Mongol periods , the Cambridge History of Iran , vol.5,1968, Francis Henry Skrine and Ross ,The Heart of Asia ,p131. p91.

السلطان ألب أرسلان الذى خـر صريعًا من طعنة سددها إليـه صاحب إحدى القلاع يدعى يوسف الخوارزمى[١].

فاستولى حاكم سـمرقند شمس الملك على ترمذ سنة(٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م) وشتت جيوش أياز أخا ملكشاه[٢]، ولما بلغ الخبر ملكشاه سار إلى ترمذ سنة (٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م) وحاصرها ورمـاها بالمنجنيق حتى استأمن أهلهـا واعتصم أخو شـمس الملك بقلعتـها، ثم أسـتأمن وأطلقـه السلطان إلى أخيـه، وسار السلطان ملكشـاه إلى سمرقند فـفارقـها حاكـمها، وبعث أخـاه للسلطان فى الصلح، وتوسط نظام المـلك فأجـابه ورده إلى سـمرقـند ورجع السلطان إلى خراسان[٣].

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعـيان وأنباء الزمان، جـ٥، ص٧٠. الذهبى: العبـر فى خبر من غبر، تحـقيق ابى المهاجر محمـد السعيد بن بسيونـى زغلول، جـ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٣١٨. ابن العبرى: تاريخ الزمان، ترجمة الأب إسحاق أرملة، دار المشرق، بيـروت، ١٩٨٦م، ص١١٣. ابن العـديم: المـصـدر نفسـه، ص١٩٨٣. رياحى بور: اطلاعات عمـومى براى استفاده عـموم كرداورنده، ١٣٥٢ ص٥٥. عـباس إقبال: تاريخ إيران بعـد الإسلام، ص٢٤٨. عـبـد الله رازى: تاريخ كامل إيران، جـابخـانه إقبـال، ١٣٧٢، ص٢٠٠.

Albin Michel ,Dictionnair de l,Islam Religion et Civilisation Encyclopedia Universalis, P768 .

(٢) ابن الأثيـر: الكامل فى التاريخ، جـ١٠، ط٣، بيـروت، ١٩٩٨ ص٧٧. الحسـينى: زبدة التـواريخ، بيروت، ١٩٨٥، ص١٢٦. حـسـن إبراهيم حسن: تاريخ الإسـلام السيـاسى والدينى والثقافى، جـ٤، ص٢٦. عبـد الله رازى: المرجع نفسه، ص٢٠٠. ناصر الدين شاه حسينى: كارنامه بزركان إيران، ١٣٤٠، ص٣٣.

Francis Henry Skrine and Ross , The Heart of Asia, p132.

(٣) الحسينى: المصدر نفسه، ص١٢٨. ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج٤، دار الكتب العلميـة بيروت، ص٤٧١. الذهبى: تاريخ الإسلام ووفـيات مشاهيـر الأعلام،=

كانت أوضاع سمرقند آنذاك غير مستقرة؛ ولا سيما بعد نشوب نزاع بين شمس الملك وابنى قدرخان يوسف، وهما: طغـرل قراخان يوسف وبغراخان هارون، وانتهى هذا النزاع بالصلح[١]، ثم توفى حاكم سمرقند شمس الملك، فخلفه أخوه خضرخان (٤٧٢هـ/ ١٠٨٠م)[٢]، وبلغت سمرقند وسائر بلاد ما وراء النهر فى عهـده أقصى درجات الرخاء وامتد سلطانه على جـميع بلاد ما وراء النهـر واتصف حكـمـه بالعـدل[٣]. ومن بعـده أحـمـد خـان (٤٧٣هـ/ ١٠٨١م) وكان ظالما غير محمود السيرة، وكان على عداء مع رجال الدين مما أدى إلى تدخل السلاجقة. فبعد ما التمس رجال الدين من السلطان ملكشـاه العون وأطمـعوه فى البـلاد، تحركت دواعى السلطان إلى ملكـها[٤] ومن ثم قـصـد الـسلطان ملكـشـاه بلاد مـا وراء النـهـر وأتى سـمـرقند وحاصـرها واسـتولى عليـها وأسر حاكمهـا أحمد خان[٥] وأناب فيها أحد

=تحقيق عبـد السلام تدمرى، جـ٣١، بيروت، ٢٠٠٢، ص٢٥. السيد مـحسن الأمين: أعيان الشيعة، مج٥، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٦، ص١٦٧.

Sevim and Bosworth , The Seljuqs and the Khwarazm shahs , History of civilization central Asia vol.4, Unesco,1992,p157 .

(١) بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص٤٦٣.

(٢) نظام الملك: سـياست نامـه، ص١٣١. النويرى: نهـاية الأرب فى فنون الأدب، تحقـيق محمد فوزى العنتيل، جـ٢٦، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٥م، ص٣٢٧

(٣) بارتولد: المرجع نفسه، ص٤٦٤.

(٤) حسـن أحمـد محـمود وأحمـد إبراهيم الشـريف: العالم الإسـلامى، ط٥، دار الفكر العربى. بيروت، ص٥٩٣.

Boyle, The Saljuq and Mongol periods ,p92. Michal Biran , Ilk khand , Encyclopedia Iranica ,vol. 12, New York,2004,p622.

(٥) ابن أيبك الدوادارى: كنز الـدرر وجامع الـغرر، تحـقـيق صـلاح الدين المنجـد، جـ٦، القاهرة، ١٩٦١، ص٤٣٠. البندارى: تاريخ دولة آل سلجوق، تحقـيق لجنة تحقيق التراث العـربى، ط٣، بيـروت، ١٩٨٠، ص٥٧. الراوندى: راحـة الصـدور وآية السـرور، =

عماله أبا طاهر عميد خوارزم[1]، وسار السلطان قاصداً كاشغر فدخل ملكها فى الطاعة ورجع السلطان إلى خراسان[2]، فلما بعد عن سمرقند لم يتفق أهلها وعسكرها المعروفين بالجكلية مع العميد طاهر، حتى كادوا يثبون عليه، فاحتال حتى خرج من عندهم ومضى إلى خوارزم، وكاتب مقدم الجكلية واسمه عين الدولة يعقوب تقين أخا ملك كاشغر يستدعيه فحضر عنده، وتم الاتفاق بينهما لكن يعقوب علم أن أمره لا يستقيم معه، فحرض عليه الرعية الذين كان قد أساء إليهم حتى أدعوا عليه دمَ قوم كان قد قتلهم، وأخذ يعقوب الفتاوى عليه فقتله، ووصلت الأخبار إلى السلطان ملكشاه، فعاد السلطان إلى سمرقند، فلما علم يعقوب المستولى على سمرقند قدوم السلطان فر هاربا إلى فرغانة، وملك السلطان سمرقند[3] ثم أعاد السلطان أحمد خان إلى الحكم ولكنه لم يدم طويلاً، فلم يلبث أن قتل لزندقته وانحلاله سنة (٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)[4] وخلفه ابن عمه

=ترجمة إبراهيم أمين الشواربى وعبد النعيم حسنين، ١٩٦٠م، ص٢٠١. القرمانى: أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ، بيروت، ص٢٧٢. القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨م، ص١٢٠. عبد الله رازى: تاريخ كامل إيران، ص٢٠١.

Bietrich Brandenburg , Samarkand , p15.

(١) ابن خلدون: العبر، مج٤، ص١٢. النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب، جـ٢٦، ص٣٢٧.

(٢) اليافعى: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، جـ٣، ط٢، بيروت، ١٩٧٠، ص١٣٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ١٠، ص١٧٣، ١٧٢. ابن خلدون: المصدر نفسه، مج٤، ص١٢. الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٣، ص٩. النويرى: المصدر نفسه، جـ٢٦، ص٣٢٨. عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٢٥٣.

(٤) الذهبى: العبر فى خبر من غبر، جـ٢، ص٣٥٦. أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، جـ٢، دار المعرفة، بيروت ١٩٨٠، ص٢٠٦. القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٤، ص٤٤٧. اليافعى: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، جـ٣، ص١٤٥.

Francis Henry Skrine and Ross ,The Heart of Asia, p121. Sevim and Bosworth , The Seljuqs and The Khwarazm Shahs , History of civilization central Asia ,p157 .

مسعود[1]. هكذا خضعت سمرقند لحكم السلاجقة حكما مباشراً، واصبح حكامها تابعين للسلاجقة حتى عهد السلطان سنجر[2].

ولما توفى السلطان ملكشاه(٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) أخذ الضعف ينخر فى كيان الدولة السلجوقية، ويوهنها الانقسام والتنازع على السلطة ومن ثم انفرط عقد السلاجقة وتمزقت وحدتهم[3]، وانقسمت الدولة السلجوقية إلى عدة دول مستقلة سميت كل واحدة منها باسم المنطقة التى تسيطر عليها، فخضعت بلاد ما وراء النهر لبركياروق بن ملكشاه وخطب له فى سمرقند سنة (٤٩٠هـ /١٠٩٦م)[4]. وعين على التوالى سليمان تكين فمحمود تكين ثم هارون تكين حكاما على البلاد[5].

ولا شك أن للصراع الدائر بين حكام السلاجقة بعد ملكشاه أثره الواضح فى شغل هؤلاء الحكام عن سمرقند، فكانت السلطة لهم مجرد اسم فقط، أما الحكم الفعلى فكان للأمراء الوطنيين القراخانيين[6] ويؤكد ذلك

---

(١) أبو الفدا: المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٠٦. القلقشندى: المصدر نفسه، جـ٤، ص٤٤٧.

(٢) Svat Soucek , A History of Inner Asia, p96

(٣) النسوى: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى، تحقيق حافظ أحمد حمدى، دار الفكر العربى، ١٩٥٣، ص ٦، ٧. سديو: تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، ١٩٤٨، ص٢٥٥.

Barthold, Four Studies on the History of central Asia,p26. Lane Poole, The Mohammadan Dynasties,Paris,1925,p152 .Pope and Phyllis Ackerman ,A Survey of Persian art from Pre history times to the Present ,vol.1, p89

(٤) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٥،ص٣٩٤. أبو الفدا: المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٠٩ .

(٥) البندارى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص٢٣٨. الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية، تصحيح محمد إقبال، بيروت، ١٩٨٤، ص٧٨ .

(٦) أحمد محمود الساداتى: تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩، ص١٨٨. أرمينوس فامبرى: تاريخ بخارى، ص١٤٠ .

عصيان هؤلاء الأمراء للملك سنجر، ففى سنة (٤٩٥هـ/ ١١٠١م) قبيل عودته من بغداد إلى خراسان بعد أن خطب لأخيه محمد بخراسان، طمع قدرخان جبريل بن عمر حاكم سمرقند فى خراسان لبعد سنجر عنها، وبالفعل خرج عليه، لكن سنجر تمكن منه وقتله[١] وعين صهره محمد أرسلان خان بن سلمان بن داود بغراخان على سمرقند وكان من الأسرة الخانية، وارتفع شأنه ولقب بأرسلان خان، وصاحب بلاد ما وراء النهر، وكان تحت طاعة سنجر المباشرة، فأمده سنجر أكثر من مرة للقضاء على معارضيه من بينها ما حدث سنة(٥٠٣هـ/ ١١٠٩م) فدفع أعداءه، وظل أرسلان خان يحكم فى بلاد ما وراء النهر بسلام إلا فى عام (٥٠٧هـ/ ١١١٣م) حينما أُخبر سنجر أن أرسلان خان يظلم رعاياه، فتحرك سنجر بجيشه إلا أن أرسلان خان توسل خوفًا بالأمير طماج أكبر أمراء سنجر آنذاك، وقبل أرسلان خان الأرض فعفا عنه سنجر[٢].

وما لبث أرسلان خان أن طلب عون السلطان سنجر وذلك عندما قتل قاضى سمرقند ورئيسها أحد أبنائه سنة (٥٢٤هـ/ ١١٢٩م)، فتحرك السلطان بجيشه إلى بلاد ما وراء النهر لكن قبل وصوله أخمد ابن آخر للخان الفتنة، فأرسل إلى السلطان يعرفه أنه قضى على الفتنة ولم يعد بحاجة إلى عونه، فغضب السلطان من ذلك، وبينما هو فى الصيد وقع فى أسره جماعة فى السلاح التام ادعت أن السلطان ارسلان خان سيرهم لقتل السلطان سنجر[٣].

---

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٩، ص٥٨، ٥٧. البندارى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص٢٤١. الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٤، ص٥٠. الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٩، ص٤٠٥. عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٢٧٧.

(٢) ابن الأثير: المصدر نفسه، جـ٩، ص١٥٠. عباس إقبال: المرجع نفسه، ص٢٧٨، ٢٧٧. محمد محمود إدريس: السلطان سنجر السلجوقى، القاهرة، ١٩٨٨، ص٣٢.

(٣) ابن الأثير: المصدر نفسه، جـ٩، ص٢٥٣. ابن خلدون: العبر، مج ٤، ص٤٧٣. ميرخوند: روضة الصفا، تهذيب وتلخيص عباس زرياب، القسم٤، تهران، ١٣٧٣،=

فهاجم السلطان سمرقند واستباحها وملكها عنوة وقبض على أرسلان خان وأرسله إلى ابنته زوجة السلطان فبقى عندها إلى أن توفى[1]، وأقام السلطان سنجر بسمرقند حتى أخذ المال والسلاح والخزائن وسلم البلد إلى الأمير حسن تكين وعاد إلى خراسان، فما لبث حسن تكين أن مات فملك بعده محمود بن محمد خان بن سليمان[2].

لما انتصر القره خطائيون على السطان سنجر فى موقعة قطوان (٥٣٦هـ/ ١١٤١م) انتقل النفوذ فى بلاد ما وراء النهر إلى الخطا[3] وكان لانتصار الخطا على السلطان سنجر أثر "كبير" فى تاريخ الدولة السلجوقية، جعلت الخطا يوسعون من نفوذهم فى بلاد ما وراء النهر ووقعت فى أيديهم سمرقند وبخارى[4]، وتعهد الخانيون بدفع إتاوة للملوك الخطا وكان ذلك خطراً

=ص٦٨٣. النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب، جـ٢٦، ص٣٨٢، ٣٣٨. عباس إقبال: المرجع نفسه، ص٢٨١. محمد محمود إدريس: المرجع نفسه، ص٥٦.

(١) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ٣، ص٢٥٣. الراوندى: راحة الصدور، ص٢٥٧. السمعانى: الأنساب، جـ٥، ص٩٩. أرمينوس فامبرى: تاريخ بخارى، ص١٤٢. حمد الله المستوفى القزوينى: كتاب تاريخ كزيده، ص١٢٣. عبد الرفيع حقيقت: نهضتهاى ملى إيران استقرار حكومت سلطان سنجر سلجوق، ارمغان، شماره ١٠، دوره جهل وبنجم، سال بنجاه وهشتم، ٢٥٣٥، ص٥٣٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٩، ص٢٥٣. ابن خلدون: العبر، مج٤، ص٤٧٣. النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب، جـ٢٦، ص٣٨٣. محمد محمود إدريس: السلطان سنجر السلجوقى، ص٥٧.

(٣) شرين بيانى: دين ودولت در إيران عهد مغول، جلد أول، تهران، ص٦٧.

David Morgan, The Mongols,Cambridge,1990,p48.Edgar Knobloch, Turkestan,Taschkent, Buchara, Samarkand, p45.

(٤) ابن سباط: تاريخ ابن سباط، ص٧٤. المقريزى: السلوك، جـ١، ص١٤٥. باول هرن: تاريخ إيران، ترجمة رضا زاده شفق، طهران، ١٣١٤، ص٦٧. عبد العظيم رضايى: تاريخ ده هزار ساله إيران، جلد٣، جاب بنجم، جاب اقبال ومروى، ١٣٧٣، ص٧٧.

جسيما على الدولة الإسلامية، واستمرت دولتهم حتى سنة (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) حينما قضى عليها الخوارزميون[١].

• إقليم الصغد تحت حكم السلاجقة

يرجع السلاجقة فى أصولهم إلى مجموعة من القبائل التركية التى عرفت باسم الغز أو الاوغز[٢] الذين دفعتهم الظروف الاقتصادية والسياسية السائدة فى تركستان إلى التنقل بحثا عن أسباب العيش الرغيد، فانسابوا من سهول التركستان (٣٤٥هـ/ ٩٥٦م) وسكنوا أول أمرهم بلاد ما وراء النهر، وكانت منازلهم فى الشتاء فى نور بخارى وفى الصيف فى صغد سمرقند[٣]،

Barthold, Four studies on the History of Central Asia, vol.P29. Edgar Knobloch, Beyon the Oxus, Archaelogy Art and Architecture of central Asia, London, 1972, p30. Robert Blake, The Circulation of Silver in the Moslem East Down to the Mongol Epoch, Harvard Journal of Asiatic Studies,vol.2, no.3/4,1937, p311.

(١) احمد ناجى القيسى: عطارنامه، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٨، ص١٦. ايرين فرانك: طريق الحرير، ،ص٢٨٨. باول هرن: المرجع نفسه، ص٦٧.

Edgar Knobloch, Monuments of Central Asia, p21. Svat Soucek, A History of Inner Asia., p100. Saunders, The History of the Mongol Conquests, London, 1971, p40.

(٢) محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربى، ١٩٧٦، ص١٥١. ناصر الدين شاه حسينى: كارنامه بزركان إيران، ١٣٤٠، ص٣٤٥. هارى وهازارد: أطلس التاريخ الإسلامى، ترجمة إبراهيم زكى خورشيد، القاهرة، ص١٤.

Harrison, Sherwin, Persia, Oxford, 1945,p257. Sourdel, La Civilisation de L,Islam classique, Paris, 1968, p97.William Langer, Robert Blake, The Rise of the Ottoman Turks and its Historical Background, the American Historical, Review, vol.37, no.3,1932,p479.

(٣) الراوندى: راحة الصدور وآية السرور، ص١٤٥. حمد الله المستوفى القزوينى: تاريخ كزيده، ص٩. حسين أمين: تاريخ العراق الاقتصادى، مطبعة الإرشاد، بغداد،=

وأطلق على هذه القبائل اسم السلاجقة نسبة إلى رئيسها سلجوق بن دقاق الذى وحدها تحت زعامته فنسبت إليه وخضعت لحكم أبنائه وأحفاده[١].

أدى جوار السلاجقة للمسلمين السنيين من السامانيين والخانيين والغزنويين إلى اعتناقهم الإسلام[٢]، واستفاد سلجوق بن دقاق من مساعدته للسامانيين الذين استنجدوا به ضد هارون إيلك خان، فأذنوا له بالمرور فى بلادهم والاستقرار بقومه بالقرب من شاطئ نهر سيحون[٣].

=١٩٦٥م، ص٤٥. خالد عزام: موسوعة التاريخ الإسلامى العصر العباسى، الأردن، ٢٠٠٣، ص٢٢٨. زبيدة عطا: الترك فى العصور الوسطى، دار الفكر العربى، ص٣٩.

(١) دقاق باللغة التركية تعنى القوس من الحديد. الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية، ص١. فضل الله العمرى: مسالك الأبصار، ص٧٧. القرمانى: أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ، ص٢٧٠. يوحنا ابكاريوس: قطف الزهور فى تاريخ الدهور، ط٤، بيروت، ١٨٩٨، ص١٢١.

Sevim and Boworth, The Seljuqs and the Khwarazm Shahs, History of civilization of central Asia, vol.4 ,p145.Bosworth, The Ghaznavids, Edinburch, 1963,p219.

(٢) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ط٧، بيروت، ١٩٧٧، ص٢٧٢. عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ترجمة أحمد كمال الدين حلمى، الكويت، ١٩٨٤، ص٢٩.

Svat Soucek, A History of Inner Asia, p95.

(٣) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٧٢. حسين أمين: تاريخ العراق الاقتصادى، ص٤٦عبد العزيز جنكيزخان: تركستان قلب آسيا، ص٥٢. محمد عبد الباسط عبد الهادى محمد حسين: الشرق الإسلامى من ظهور السلاجقة حتى زوال الخلافة العباسية ببغداد، مكة، ١٤١٤، ص٩.

The Seljuqs and the Khwarazm Shahs, History of civilization of Sevim and Bowsorth, central Asia, vol.4 ,p145. Bosworth, The Ghaznavids, ,p221.

استطاع السلاجقة فى سنوات معدودة إعداد جيش قوى، حتى صاروا قوة يخشى بأسها ويرهب جانبها. وبعد أن أحس السلاجقة بقوتهم بدأوا يغيرون على المناطق المجاورة لهم ويحاولون توسيع ممتلكاتهم، فأوجس منهم الغزنويون خيفة، وكان على رأسهم قائدهم محمود الغزنوى الذى استطاع بالحيلة والدهاء القبض على إسرائيل بن سلجوق وحبسه فى قلعة كالنجر بالهند وظل سجينا بها حتى وفاته، وكان لهذه الخديعة وقع عظيم فى نفس ميكائيل الذى تولى زعامة السلاجقة ونقلهم إلى إقليم خراسان كبداية لمرحلة جديدة من مراحل كفاحهم، وذلك للانقضاض على الدولة الغزنوية والأخذ بثأر إسرائيل[١]، وسرعان ما جاءت الفرصة عندما توفى السلطان محمود وخلفه ابنه مسعود الذى اصطدم بالسلاجقة، ونتج عن هذا الاصطدام دخول طغرلبك بقواته نيسابور وجلوسه على عرش مسعود، وصار بذلك أول سلطان للسلاجقة.

والواقع أن عام (٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م) ينبغى أن يعد البداية الفعلية والحقيقية لقيام الدولة السلجوقية، فقد باشر طغرل مهامه باعتباره سلطانا للدولة منذ ذلك التاريخ[٢] وقويت أركانها بعد معركة داندنقان الحاسمة مع

---

(١) الراوندى: راحة الصدور وآية السرور، ص١٤٨-١٥١. السيد عبد المؤمن السيد أكرم: أضواء على تاريخ توران(تركستان)، ط٢، مطبعة رابطة العالم الإسلامى، ١٣٩٩، ص٥٢. عبد العظيم رضايى: تاريخ ده هزار ساله إيران، جلد ٣، ص٦٩.

(٢) ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول، ط٢، بيروت، ١٩٥٨، ص١٨٣. ابن القيسرانى: صفوة التصوف، تحقيق غادة المقدم عدرة، بيروت، ١٩٩٥، ص٤٦. ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ط٥، بيروت، ١٩٨٣، ص٤٣. عبد النعيم حسنين: إيران والعراق فى العصر السلجوقى، دار الكتاب المصرى اللبنانى، ١٩٨٢، ص٣٦.

Harrison, Sherwin, Persia, p257. Robert Irwin,The Emergence of the Islamic World System, the Cambridge Illustrated History of the Islamic World, Italy, 1996,p38.

الغزنويين (٤٣١هـ/ ١٠٣٩م)، فأصبحت الدولة السلجوقية أكبر قوة عسكرية فى المشرق الإسلامى[١].

رأى الوزير نظام الملك فى عهد السلطان ألب أرسلان أن السياسية أنفع فى معاملة الدولة الخانية فى سمرقند، وخير وسيلة لذلك هى ربط الدولتين برباط المصاهرة، فزوج السلطان ابنه ملكشاه بابنة خاقان ما وراء النهر وبذلك ارتبطت الدولتان برباط المصاهرة، وساعدت تلك المصاهرة فى بعض الأحيان على استقرار العلاقات بين الدولة السلجوقية وخانات ما وراء النهر فى عهدى ألب أرسلان وملكشاه[٢] وعقدت مصاهرة ثانية دعمت ذلك الاستقرار إلى حد ما، إذ تزوج شمس الملك بن إبراهيم طمغاج خان بابنة ألب أرسلان[٣].

سبق أن أسلفنا ما حدث من تطورات سياسية فى سمرقند فى عهد السلطان ملكشاه وعهد ابنه السلطان سنجر، ولسنا بحاجة ان نسترسل فى هذه التفصيلات .

خلاصة القول: كانت وفاة السلطان سنجر سببا لانقسام الدولة السلجوقية واضمحلالها وانفصلت بلاد ما وراء النهر التى كانت أصل الدولة

---

(١) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٣٧. حمد الله المستوفى القزوينى: تاريخ كزيده، ص٩٤. الراوندى: راحة الصدور وآية السرور، ص١٦٥. الكرديزى: زين الأخبار، ص٣٣١. مجهول المؤلف: تاريخ سيستان، ص٣٦٤. عبد الجبار ناجى وآخرون: الدولة العربية الإسلامية فى العصر العباسى، الإسكندرية، ٢٠٠٣، ص٣٨٣.

Amir Siddiqi,Caliphate and Kingship in Medieval Persia, U.S.A, 1977,p75. Sourdel, La Civilisation de L,Islam classique,p97.

(٢) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ص٥٨٦. فتحى أبو سيف: المصاهرات السياسية فى العصرين الغزنوى والسلجوقى، القاهرة، ١٩٨٦، ص١٥٢.

(٣) فتحى أبو سيف: المرجع نفسه، ص١٥٢.

ومهدها عن بقية أجزائها، وظهرت دولتان تركيتان: إحداهما وثنية وهى دولة الخطا، والأخرى مسلمة وهى الدولة الخوارزمية.

• إقليم الصغد فى ظل حكم الخطا

الخطا قبائل تركية، كانت تسكن شمال شرق إيران فى عهد السلاجقة، وكانوا من الوثنيين، واستطاعت هذه القبائل أن تثبت أقدامها فى هذه المنطقة وأن تؤسس لها دولة حوالى عام (٥١٨هـ/ ١١٢٤م)[١] على يد لوتاشى[٢]، عرفت بدولة الخطا[٣]. بينما أطلق عليها المغول اسم القره خطائيين[٤]، وكان يطلق على ملوكها لقب كرخان[٥] واتخذت لها عاصمة هى مدينة بلاساغون[٦].

أما عن أصل هؤلاء الخطا فهم من شمال الصين، ويرجع سبب هجرة هذه القبائل من موطنهم الأصلى من شمال الصين إلى اضطراب الأحوال السياسية فى النصف الأول من القرن السادس الهجرى، فساروا إلى أن نزلوا

---

(١) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ص٦١١. حسين أمين: تاريخ العراق الاقتصادى، ص٢٦٤، ٢٦٥.

(٢) النسوى: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى، ص٣٦.

(٣) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: المرجع نفسه، ص٦١١.

(٤) قره: لفظ تركى معناه اسود، وربما أطلق المغول هذا اللفظ على الخطا تعبيراً عن عدائهم وكراهيتهم لهم. ابن سباط: تاريخ ابن سباط، جـ١، ص٧٣.

David Morgan, The Mongols ,p48.

(٥) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: المرجع نفسه، ص٦١٢. حسين أمين: المرجع نفسه، ص٢٦٥.

(٦) بلاساغون: مدينة كبيرة من ثغور الترك قرب كاشغر فى شمال نهر سيحون. البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٩٤. شرين بيانى: دين ودولت در إيران عهد مغول، جلد أول، ص٦٧.

بإقليم التركستان[1]، وعظم نفوذ هذه الدولة حتى أخضعت القبائل التركية التى كانت تعرف باسم قرغيز، ثم أخذت فى الإغارة على البلاد الإسلامية فى عام (٥٣١هـ/ ١١٣٦م)[2] وسلكوا طريق ما وراء النهر، فتقدم إليهم الخاقان محمود بن أرسلان لكنه هزم، وركن إلى الفرار إلى سمرقند وعم البلاد فزع 'عظيم" فأرسل أهل بلاد ما وراء النهر الخان محمود إلى السلطان سنجر وطلبوا عونه لدفع الكوخان القراخطائى[3].

فتوجه السلطان سنجر لملاقاة الخطا ومعه مائة ألف مقاتل وشيخ الإسلام الحسام عمر ابن عبد العزيز بن مازه وفى صحبته من الفقهاء والخطباء والوعاظ والمطوعة ما يزيد على عشرة آلاف نفر[4]. ولما أحس هؤلاء بقوة السلطان سنجر أرسلوا إليه يعتذرون ويتعهدون بالطاعة والخضوع له، لكنه صمم على استئصالهم[5].

---

(١) ابن سباط: تاريخ ابن سباط، ص٧٣. ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول، ص٢١٥. جوزيف وبوزورث: تراث الإسلام، عالم المعرفة، الكويت، ص١٧٦. شرين بيانى: المرجع نفسه، ص٦٧. فؤاد عبد المعطى الصياد: المغول فى التاريخ، دار النهضة العربية، ١٩٧٠م، ص٢٢، ٣٢.

Edgar Knobloch,Turkestan, Taschkent, Buchara, Samarkand, p44.

(٢) البندارى: تاريخ دولة ال سلجوق، ص٢٥٣. النسوى: المصدر نفسه، ص٣٦.

(٣) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص١٠٧. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، جاب دروازدهم، تهران، ١٣٧٢، ص٩١. السيد عبد المؤمن السيد أكرم: أضواء على تاريخ توران، ص٥٨. عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٢٨٤. عبد العزيز جنكيزخان: تركستان قلب آسيا، ص٦٠.

Barthold, Four studies on the History of central Asia, vol.1, p28.Boyle, The Saljuq and Mongol periods , the Cambridge History of Iran , vol,5, p149.

(٤) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، جـ٥، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، ١٩٦٣م ص٢٦٨.

(٥) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ص٦١٢.

فقـاد ملك الخطا كورخان الجـيوش فى ثلاثمـائة ألف فارس[١] وتقابل السلطان سنجـر وإياهم فى قطوان على بعـد خمـسة فـراسخ من سمـرقند، ودارت بين الـطرفـين مـــعـــركـــة طاحـنة، وذلك فى وادى درغـم سنة (٥٣٦هـ/ ١١٤١م)[٢]. فألحق الخطا بجيش السلطان سنجر هزيمة منكرة[٣]. فهـرب السلطان سنجر والخاقـان محمود، ووقـعت زوجته ابنة ارسـلان خان والأمير قـماج أسرى[٤]، وأسر الحسام وأعـيان الفقهاء. وبعد انتـهاء المعركة

---

(١) الصفدى: الوافى بالوفيـات، اعتناء محمد عدنان ومـصطفى الحيارى، جـ٢٤، بيروت، ١٩٩٣، ص٣٧٥.

(٢) البندارى: تاريخ دولة ال سلجـوق، ص١٧٩. البيـهقى: تاريخ حكمـاء الإسلام، تحـقيق محمد كرد على، مطبعـة الترقى، دمشق، ١٩٤٦، ص١٣١. ابن العبرى: تاريخ الزمان، ص١٥٥. القلانسى: ذيل تاريخ بغداد، بيروت، ١٩٠٨، ص٢٧٥. كرمانى: سلجوقيان وغز در كرمـان تعليق باستانى باريزى، تهران، ١٣٧٣، ص٢٧٤. عـبد العظيم رضايى: تاريخ ده هزار ساله ايران، ص٧٧.

David Morgan, Medieval Persia, London and New Yew, 1988, p47.Francis Henry Skrine and Ross, The Heart of Asia, p138,139.

(٣) ابن أيبك الدوادارى: كنز الدرر وجامع الغرر، ص٥٣٥. محمد بن المنور بن أبى سعيد بن طاهر: أسرار التوحيد فى مـقامات الشيخ أبى سعيد، ترجمة إسـعاد عبد الهادى قنديل، الدار المصـرية للتأليف والتـرجمـة، ص٤٣١. حـسـين كريمـان: رى باستـان، مج دوم، طهران، ١٣٤٥، ص١٩٧. دونالد ولبـر: إيران ماضيها وحـاضرها، ترجمة عـبد النعيم محمد حـسنين، ط٢، ١٩٨٥، ص٦١. صفاء حـافظ: شحنة بغداد فى العصر السلجوقى، مجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب جامعة الزقازيق، ١٩٩٧، ص١٢٣، ١٢٢.

Barthold, Four Studies on the History of Central Asia, vol.1,p29.Bosworth, The New Islamic Dynasties, p180 .Bretschneider, Medieval Researches,vol.1,p215 Percy Sykes, A History of Persia, vol,2, London, 1963, p49.Saunders, A History of Medieval Islam,London,1972, p162.

(٤) ابن الجـوزى: المنتظم، جـ١٠، مطبـعة دائرة المـعارف العـثـمانيـة، الدكن، ١٩٤٠م،=

أحضرهم ملك الخطا وقال لهم: "ما الذى دعاكم إلى قتال من لم يقاتلكم والإضرار بمن لم يضركم" وضرب أعناق الجميع[1]، ومنهم الإمام شرف الزمان الايلاقى، والحكيم السمرقندى .

وقال الشيخ فخر الدين المالكى فى تلك الواقعة:

بوادى درغم سقيت كرام أريق دماؤهم بيد اللئام

بكيتهم وحق لهم بكائى بأجفان مؤرقة نيام

فتحسبها وقطر الدفع فيها غداة المزن أذيال الخيام[2]

كان لانتصار الخطا على السلطان سنجر أثر كبير فى تاريخ الدولة السلجوقية، جعلت الخطا يوسعون من نفوذهم فى بلاد ما وراء النهر ووقعت فى أيديهم سمرقند[3]، وتعهد الخانيون بدفع إتاوة لملوك الخطا[4]، وكان ذلك

=ص٩٧ . الذهبى: العبر فى خبر من غبر، جـ٢، ص٤٤٩ . ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، جـ٢، المطبعة الوهبية، ١٢٨٥، ص٤٤ . اليافعى: مرآة الجنان، جـ٣، ص٢٧٦ .

David Morgan, Medieval Persia,p47.

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، جـ٥، ص٢٦٨

(٢) الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية، ص, ٩٥

(٣) ابن سباط: تاريخ ابن سباط، ص٧٤ . المقريزى: السلوك، جـ١، ص١٤٥ . باول هرن: تاريخ إيران از أول إسلام تا انقراض زنديان، ص٦٧ . عبد العظيم رضايى: تاريخ ده هزار ساله إيران، جلد٣، ص٧٧

Barthold, Four studies on the History of central Asia, vol.P29. Edgar Knobloch, Beyon the Oxus, Archaelogy Art and Architecture of Central Asia , p30. Robert Blake, The Circulation of Silver in the Moslem East Down to the Mongol Epoch, Harvard Journal of Asiatic Studies, vol.2, no.3/4, 1937, p311.

(٤) شرين بيانى: دين ودولت در إيران عهد مغول، جلد أول، ص٦٨ .

Saunders, The History of the Mongol Conquests, p40.

خطراً جسيما على الدولة الإسلامية. واستمرت دولتهم حتى سنة (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) حينما قضى عليها السطان علاء الدين محمد خوارزمشاه. كما كان من نتيجة هزيمة السلطان سنجر فى تلك المعركة أن تجرأ عليه حكام الدولة الخوارزمية. ومنذ ذلك الوقت أخذ نجم السلاجقة يأفل تدريجيا حتى تم سقوطها نهائيا على يد الخوارزمية (٥٩٠هـ/ ١١٩٤م)[١].

تعتبر الفترة من النصف الثانى من القرن السادس وبداية القرن السابع الهجرى من أحلك فترات التاريخ الإسلامى بوجه عام وتاريخ مدن الصغد بوجه خاص لما يكتنفها من غموض وأحداث جسيمة هزت العالم الإسلامى، ففيها سقطت الدولة السلجوقية وانتهت سيادتها على بلاد ما وراء النهر ثم خضوع تلك البلاد لسيادة حكام وثنيين.

ظلت بلاد ما وراء النهر تغوص فى بحر من الاضطرابات والنزاعات نتيجة للنزاع بين الحكام القراخانيين والقارغليه. ففى سنة (٥٥٠هـ/ ١١٥٥م) قتل الأتراك القارغليه، طمغاج خان إبراهيم بن أرسلان خان محمد حاكم سمرقند وألقوه فى الصحراء[٢]، وخلفه جغرى خان جلال الدين على بن حسن تكين الذى عمل على إجلاء الأتراك القارغليه من سمرقند وبخارى إلى كاشغر، وإلزامهم الفلاحة، ومجانبة حمل السلاح، وذلك بناء على أوامر

---

(١) محمد بن المنور بن أبى سعيد بن طاهر: أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد، ص٤٣١. حسين أمين: تاريخ العراق الاقتصادى، ص٨٦. محمد عبد الباسط عبد الهادى محمد حسين: الشرق الإسلامى من ظهور السلاجقة حتى زوال الخلافة العباسية ببغداد، ص١٢٧.

David Morgan, Medieval Persia, p47.Edgar Knobloch, Monuments of Central Asia, p21.

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٩، ص٤٠١.

ملك الخطا سنة (٥٥٩هـ/ ١١٦٣م)، فامتنعوا واجتمعوا لحربه وسار الخان إلى بخارى وقطع دابرهم وأجلاهم عن نواحى سمرقند[١].

سبق أن أشرنا أن الخطا أبقوا على القراخانيين فى حكم بلاد ما وراء النهر واكتفوا بأخذ الإتاوة منهم، ونصبوا شحنة من قبلهم فى بلاطهم[٢]، ومنذ سيطرة الخطا على بلاد ما وراء النهر أصبحوا يجاورون ممالك الدولة الخوارزمية. وكان السلطان اتسز خوارزمشاه (ت٥٥٣هـ/ ١١٥٨م) يتجنبهم ويخشى الاحتكاك بهم، فقبل أن يدفع لهم إتاوة سنوية، حتى لا يتعرضوا له بسوء. وظل هذا الإجراء متبعا، برغم محاولات بعض سلاطين الخوارزمية للتخلص من تلك التبعية، لكن السلطان محمد خوارزمشاه آبى الاستمرار فى سياسة التبعية للملك الوثنى[٣].

• إقليم الصغد فى ظل الخوارزميين

تنسب الدولة الخوارزمية إلى مؤسسها انوشتكين، وكان أحد سقاة بلاط السلطان ملكشاه[٤] وأظهر كفاءة منقطعة النظير فكافأه السلطان ملكشاه

---

(١) الحسينى: زبدة التواريخ، ص٢٦٣. ابن خلدون: العبر، مج٤، ص٤٧٦.

(٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى، جـ٢٢، ط١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م، ص١٤١عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٣٣٤

(٣) حمد الله مستوفى قزوينى: تاريخ كزيده، ص١٩٦. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٩١. فؤاد عبد المعطى الصياد: المغول فى التاريخ، جـ١، ص٦٦.

Barthold, Four Studies on the History of Central Asia, vol.P30. Percy Sykes,A History of Persia, vol,2, P54.

(٤) حمد الله مستوفى قزوينى: المصدر نفسه، ص١٧٦. مستانلى لين بول: طبقات سلاطين الإسلام، بغداد، ١٩٦٨م، ص١٦٦. طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦م، ص١٣٠. فؤاد عبد المعطى الصياد: المرجع نفسه، ص٦١. مطلق بن البادى العتيبى: ملخص التاريخ الإسلامى، الدمام، ١٣٩٤، ص٩٤.

وأعطاه خوارزم (٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)[١]. وخلفه ابنه محمد بن انوشتكين، وصار حاكما ووالياً على خوارزم بأمر سنجر بن ملكشاه، وأطلق عليه اسم خوارزمشاه ولقب بقطب الدين وذلك سنة (٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م) وكان يبالغ فى خدمة السلاجقة ومكث ثلاثين سنة والياً على خوارزم إلى أن مات (٥٢١هـ/ ١١٢٧م)، وصار منصبه من هذا الوقت فصاعدا وراثيا فى أسرة قطب الدين محمد بن انوشتكين، فبداية تأسيس الأسرة الخوارزمية إذن هو عام (٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م)[٢]، ثم تولى اتسز بن محمد حكم خوارزم بعد والده بأمر السلطان سنجر، وكان أول من أظهر الميل إلى الاستقلال عن الدولة السلجوقية، ولكن ثورته التى أشعلها فى (٥٣٣هـ/ ١١٣٨م) فشلت وقضى عليها السلطان سنجر، ولكنه عاود بعد ذلك الثورة واستطاع أن يمد نفوذه حتى "جند" الواقعة على نهر سيحون. ثم تولى بعده أبناؤه وأحفاده حتى وصل الأمر إلى علاء الدين محمد خوارزمشاه الذى استولى على بلاد ما وراء النهر[٣].

Saunders, The History of the Mongol Conquests, p40. Stanly Lane Poole, The Mohammadan Dynasties, p176

(١) عبد العظيم رضايى: تاريخ ده هزار ساله إيران، جلد سوم، ص٩٤

(٢) القرمانى: أخبار الدول وآثار الأول، ص٢٧٥. باول هرن: تاريخ مختصر إيران، ص٦٦. رياحى بور: اطلاعات عمومى براى استفاده عموم كرداورنده، ص٦٥. عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٣١٩. عبد العظيم رضايى: المرجع نفسه، ص ٩٥.

Saunders, OP.cit, p41.The Cambridge Medieval History, vol.4, Cambridge,1936,p312

(٣) القرمانى: أخبار الدول وآثار الأول، ص٢٧٥. حمد الله المستوفى القزوينى: تاريخ كزيده، ص١٧٨، ١٧٧. طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٣. مصطفى طه بدر: محنة الإسلام الكبرى، ط٢، القاهرة، ١٩٩٩، ص٥٦.

Stanly Lane Poole, The Mohammadan Dynasties, p176.Pope and Phyllis Ackerman, A Survey of Persian art, vol.1,p90.

تولى علاء الدين محمد خوارزمشاه العرش خلفا لأبيه علاء الدين تكش (٥٩٦ - ٦١٧هـ/ ١١٩٩ - ١٢٢٠م) وسار على نهجه فى توسيع رقعة بلاده حتى بلغت أقصى اتساع لها فى عهده، رغم أنه ورث تركة ثقيلة للغاية، إذ كان عليه تقوية دولته فى الداخل ليستطيع مواجهة أعدائه فى الخارج الممثلين فى الدولة الغورية والخلافة العباسية والدولة القراخطائية، واتخذ سياسة محدودة إزاء تلك الدول الثلاث، فكان عليه السيطرة بقوة جيوشه على الأولى، ومحاولة فرض نفوذه على الثانية، والتخلص من التبعية ودفع الضريبة السنوية للثالثة، والعمل على اقتطاع ما يمكن اقتطاعه من الأراضى الإسلامية الواقعة تحت سيطرة القره خطائيين[١].

وترجع تبعية الخوارزميين لدولة القره خطائيين إلى أكثر من نصف قرن عندما تمكنوا من الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر، واستخلاصه لهم، وانفرادهم بإدارته بعد انتصارهم على السلطان سنجر كما سبق ذكره، وتبعية حكام تلك البلاد لكورخان، وتمكن السلطان اتسز خوارزمشاه عدو سنجر اللدود وحليف كورخان القره خطائى ان يستقل بحكم تلك البلاد على أن يدفع مقابل ذلك مبلغ ثلاثين ألف دينار ذهبا، وأن يقدم أيضا ما يحتاجه كورخان من خيل وجنود، واستمر هذا الاتفاق سارى المفعول حتى عصر السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه[٢]. والخطة التى سار عليها السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه واستغرقت منه قرابة عشر سنوات، استطاع خلالها تقوية جيشه، وتصفية أعدائه ومناوئيه فى الداخل، وترقب الفرصة لتنفيذ سياسته تجاه القره خطائيين إلى أن كان عام (٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م) الذى يعد بداية الصراع الفعلى بين الخوارزميين ودولة القره خطائيين[٣]، شجعه

---

(١) عبد السلام عبد العزيز فهمى: تاريخ الدولة المغولية فى إيران، القاهرة، ١٩٨١م، ص٤٠

(٢) عبد السلام عبد العزيز فهمى: المرجع نفسه، ص٤٠.

(٣) عبد السلام عبد العزيز فهمى: المرجع نفسه، ص٤٠

على انتهاج هذه السياسة ما كان يليه من عثمان خان حاكم سمرقند من رسائل تحضه على مهاجمة الخطا، وفيها تعهد صريح منه بأن يكون حليفًا أمينا لخوارزمشاه، وتابعا مخلصا له، وأن يدفع له الإتاوة التى كان يدفعها لملك الخطا، ويدعوا له على منابر سمرقند[1] كما يتبين ذلك من هذه الرسالة: "إن الله عز وجل قد أوجب عليك بما أعطاك من سعة المال وكثرة الجنود أن تستنفذ المسلمين وبلادهم من أيدى الكفار وتخلصهم مما يجرى عليهم من التحكم فى الأموال والابشار، ونحن نتفق معكم على محاربة الخطا، ونحمل إليك ما نحمله إليهم، ونذكر اسمك فى الخطبة والسكة"[2].

وسرعان ما جاءت الفرصة للسلطان محمد خوارزمشاه ورفض دفع المبالغ المستحقة عليه، فاغتاظ الخطا من هذا التصرف وكان معنى هذا اشتعال الحرب بين الفريقين[3]. وبالفعل تجهز خوارزمشاه لقتال الخطا سنة (٦٠٦هـ/١٢٠٩م) وجمع عسكره وعبر نهر جيحون والتقى بالخطا وكانت

---

(١) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٤٣، ص١٥. عطا ملك الجوينى: تاريخ جهانكشاى، ترجمة محمد التونجى، مج١، دار الملاح للطباعة، ١٩٨٥، ص٣١٧. ميرخوند: روضة الصفا، القسم٤، ص٧١١. ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، ص١٢٥. شرين بيانى: دين ودولت در إيران عهد مغول، جلد أول، ص٧٠. عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٣٣٥. عبد السلام عبد العزيز فهمى: تاريخ الدولة المغولية فى إيران، ص٤١. فؤاد عبد المعطى الصياد: المغول فى التاريخ، ص٦٧.

Davidovich,The Karakhanids History of civilization of central Asia,vol.4, p134.

(٢) فؤاد عبد المعطى الصياد: المرجع نفسه، جـ١، ص٦٧.

(٣) عطا ملك الجوينى: المصدر نفسه، ص٣١٧. عبد السلام عبد العزيز فهمى: المرجع نفسه، ص٤١. عبد العظيم رضايى: تاريخ ده هزار ساله إيران، جلد٣، ص٧٧.

Percy Sykes, A History of Persia, vol,2, P54

ملحمة عظيمة، انهزم فيها الخطا وقتل منهم خلق كثير[١]. ثم قصد محمد خوارزمشاه بلاد ما وراء النهر فملكها مدينة مدينة وجعل نوابه فيها. وعاد إلى خوارزم ومعه سلطان سمرقند، فزوجه بابنته ورده إلى سمرقند، وبعث معه شحنة وعسكر فأقاموا بسمرقند[٢] مدة، فرأى من سوء معاملتهم ما جعله يندم على مفارقته للخطا فأرسل إلى ملك الخطا يدعوه إلى سمرقند ليسلمها إليه ويعود إلى طاعته، وأمر بقتل الخوارزميين فقتلوا عن أخرهم[٣]. ولما وصل الخبر إلى محمد خوارزمشاه غضب وأمر عساكره بالاستعداد للتوجه إلى بلاد ما وراء النهر، ونزل سمرقند وأرسل إلى حاكمها يقول له: "إنك

---

(١) الدبار البكرى: تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس، جـ٢، بيروت، ص٣٦٧. الغسانى: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك فى طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق محمود شاكر، بيروت، ١٩٧٥، ص٣٢٨، ٣٢٧. اليافعى: مرآة الجنان، جـ٤، ص٦. صبرى سليم: الأتراك الخوارزميين فى الشرق الأدنى الإسلامى، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٢٣. نصرت الله حكيم: تاريخ إيران از تأسيس سلسلة طاهريان تا حملة مغول، ص١١٣.

Edgar Knobloch, Beyond the Oxus, Archaelogy Art and Architecture of Central Asia, Mohammadan Dynas- p30. Percy Sykes,OP.cit, vol,2,p54.Stanly Lane Poole, The ties, p176. Saunders, The History of the Mongol Conquests, p40.

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ١٢، ص٢٦٧، ٢٦٨. ابن خلدون: العبر، مج٥، ص١٢٦. الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٤٣، ص٢٤.

Davidovich ,The Karakhanids History of civilization of central Asia . vol.4.p135

(٣) الغسانى: العسجد المسبوك و الجوهر المحكوك فى طبقات الخلفاء والملوك، ص٣٢٨. ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٤٨. عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٣٣٦. شرين بيانى: دين ودولت در إيران عهد مغول، جلد أول، ص٧٣.

Barthold, Four studies on the History of central Asia, vol.P32 Francis Henry Skrine and Ross,The Heart of Asia, p156. Saunders, The History of the Mongol Conquests,p42.

فعلت مـا لم يفعله أحد، واستـحللت دماء المسلمين فاخـرج من البلاد" فلم يجب إلى ذلك فأمر السلطان عساكره بالزحف، فزحفوا وأخذوا البلد ونهبوها وقتلوا من وجدوه من أهل سمرقند خـلال ثلاثة أيام . ويقال إن جملة القتلى مائتا ألف إنسان، وقتلوا حاكمها[١].

جدير بالذكر أن السلطان محمد خـوارزمشاه ارتكب خطأً فاحشًا عندما أزال دولة الخطا، فكان ملوك هذه الدولة يمثلون سدًا منيـعًا بين بلاد المسلمين وبين التتار، فحين قضى خـوارزمشاه على هذه الدولة قضى بالتالى على هذا السد المنيع، وأصبح عاجزًا عن حماية هذه البلاد[٢]، وكان الشرق الإسلامى إبان غزوات المغـول فى حالة شـديدة من الضعف والتـخاذل، تضمـه مناطق تسودها الفتن والدسائس، وتتنازعها الأهواء، ويسـيطر عليها حكام متنازعون متباغضون[٣].

---

(١) ابن خلدون: المصـدر نفـسه، مج٥، ص١٢٦. الذهبى: سـير أعلام النبـلاء، جـ٢٢، ص٢٢٥. الغسانى: المصدر نفسه، ص٣٢٨، ٣٢٩. القـزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٥٨. ذبيح الله صـفـا: تاريخ أدبيـات در إيـران، جـلد دوم، ص٧. عـبـد العظيم رضايى: تاريخ ده هزار ساله إيران، جلد٣، ص١٠٧. نصرت الله حكيم: تاريخ إيران از تأسيس سلسلة طاهريان تا حملة مغول، ص١١٤.

Bosworth,The New Islamic Dynasties,p113.Davidovich ,OP.cit,vol.4, p135.

(٢) ابن واصل: مفـرج الكروب، تحقـيق حسنين مـحمد ربيع، جـ٤، دار الكـتب، القاهرة، ١٩٧٢، ص٣٨. عباس إقبال: المرجع نفسه، ص٣٤٩. فؤاد عبد المعطى الصياد: المغول فى التاريخ، جـ١، ص٦١.

Francis Henry Skrine and Ross, OP.cit, p157. Gavin Hambly with Alexandre Bennigsen,Central Asia , London,1969,p95.

(٣) فؤاد عبد المعطى الصياد: المغول فى التاريخ، جـ١، ص٦١.

• الغزو المغولى لإقليم الصغد[1]

توجه جيش التتار بزعامة جنكيز خان نحو سمرقند سنة (٦١٧هـ/

(١) المغول قبائل بدوية تشبه الترك، والموطن الأصلى لهم يقع فى الهضبة الآسيوية من أطراف الصين فى وسط آسيا حيث صحراء جوبى، يحده شرقا الصينيون الخطا، وغربا الايغوريون الأتراك، وشمالا أرض تدعى سلفجاى، وجنوبا الهند. ويكثر المغول فى منغوليا الخارجية*. ويطلق المؤرخون العرب على المغول عموما اسم التاتار ولفظ التاتار يكتب إملاء فى اللغات الأوربية: تاتاروس، وهذا ناجم عن كونهم أرادوا من حيث الاشتقاق أن يربطوا بين هؤلاء القوم المرعبين وبين تاتاروس التى تعنى الجحيم فى علم الأساطير**. وكان التتار قبائل مستقلة عن المغول، ولكن من الغريب أنه على إثر انتصار جنكيزخان على التتار، أطلق اسمهم عليه وعلى أتباعه، وربما يعود سبب ذلك أن التتار استطاعوا أن يخضعوا أغلب القبائل، وكانوا يتمتعون بشهرة ذائعة وشوكة كبيرة، بحيث إن قبائل الأتراك الأخرى على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم كانوا يتسمون باسمهم***. وفى بدء هجوم المغول على الممالك الإسلامية كانوا يعرفون بالتتار. كما أطلق عليهم أيضا اسم المغول. فاشتهروا فى التاريخ بهذين الاسمين****. ولا يعرف من أمر المغول شيء" إلى أن ظهر من بينهم بطل ذو أطماع وإرادة قوية، وحد من صفوف بنى جلدته ثم سار بهم إلى فتوحات واسعة بآسيا، وفى ركابه الخراب والدمار الذى أشاعه فى مهد الحضارة والمدنية التى اجتاحها. ذلك هو تيموجين الذى اشتهر فيما بعد باسم جنكيزخان حين ظهر على مسرح التاريخ وهو فى الأربعين من عمره. *****

* ابن العبرى: تاريخ الزمان، ص٢٣٥. محمد السيد غيطاش: دراسات وبحوث فى الآثار والحضارة الإسلامية، دار الوفاء للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٢١٨.

** براون: تاريخ الأدب فى إيران، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٤م، ص٢٩٨.

*** محمد عبد الباسط عبد الهادى محمد حسين: الشرق الإسلامى من ظهور السلاجقة حتى زوال الخلافة العباسية ببغداد، ص١٤٣.

**** فؤاد عبد المعطى الصياد: المغول فى التاريخ، ص٢٧.

***** ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ترجمة عبد العزيز جاويد، جـ١، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤، ص٢٦٨. أحمد محمود الساداتى: تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩، ص١٩٢

١٢٢٠م) بعد ما تحققوا من عجز السلطان محمد خوارزمشاه، واستصحبوا أسرى بخارى معهم لإدخال الرعب فى قلوب أهالى سمرقند الذين انهارت معنوياتهم حينما سمعوا بالمصير الذى حل بأهالى بخارى[١]. وأحاطوا بسمرقند وفيها خمسون ألفا من العسكر الخوارزمية[٢]. فخرج إليهم عوام البلد، وأحجم العسكر الخوارزمى عن الخروج، وكان التتار قد أكمنوا لهم، فلما حازت الرجال ذلك الكمين خرجوا عليهم وحاصروهم وقتلوهم عن آخرهم[٣] فتفاقمت مخاوف الجند الخوارزمية لهذا الانكسار الذى حل بأهل

Clive Irving,Crossroads of civilization 300 years of Persian History, London, 1979, p120. Edgar Knobloch, Beyond the Oxus, Archaelogy art and Architecture of Central Asia, p30. Stanly Lane Poole, The Mohammadan Dynasties, p201. Savt Soucek, The Mongol Empire and its Legacy, Jouurnal of Islamic Studies, vol.12, no.2,2001,p211.

(١) ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم، جـ٨، القاهرة، ١٩٦٠، ص٢٢٥. الدوادارى: كنز الدرر وجامع الغرر، ص٢٤٢. عبد الجبار ناجى وآخرون: الدولة العربية الإسلامية فى العصر العباسى، ص٤٧٩. عصام الدين عبد الرءوف الفقى: معالم التاريخ الإسلامى، دار الفكر العربى، القاهرة، ص٣٢٧.

Bertold Spuler, History of the Mongols Translated by Helga and Stuart Drummond , London, 1972, p38. Wilfrid Blunt , The Golden Road to Samarkand p78.

(٢) ابن عربشاه: فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، تحقيق أيمن عبد الجبار البحيرى، دار الافاق العربية، القاهرة، ٢٠٠١، ص٥٥٢. الغسانى: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك فى طبقات الخلفاء والملوك، ص٣٧٣. ابن واصل: مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، جـ٤، ص٤٣. رينيه غروسيه: جنكيزخان، ترجمة خالد أيعد عيسى، جـ١، بيروت، ١٩٨٢، ص٢٩١.

(٣) ابن أبى الحديد: المصدر نفسه، جـ٨، ص٢٢٥. ابن عربشاه: المصدر نفسه، ص٢٦٢، ٢٦١. عباس العزاوى: تاريخ العراق بين إحتلالين، جـ١، مطبعة بغداد، ١٩٣٥، ص١١٦.

المدينة وطلبوا الأمان طمعا أن يسلموا من القتل لأنهم من نفس جنس المغول[1].

على حين خرج قاضى المدينة ومعه كبار رجال الدين وطلبوا الأمان من جنكيزخان، ولما أجابهم إلى طلبهم فتحت المدينة أبوابها حيث دخلها المغول[2]، ونادوا فى البلد: برئت الذمة ممن لم يخرج، ومن خرج فهو آمن، فخرج الناس ووضعوا فيهم السيف وعذبوا الأغنياء منهم واستصفوا أموالهم ودخلوا المدينة وعاثوا فيها فساداً، فأحرقوا الجوامع ونقضوا دورها[3]، هكذا لم يعرف المغول للعهود حرمة، وسويت مدينة سمرقند العامرة وحصنها كذلك بالأرض وتركوها بلقعا ينعق الغراب فى ربوعها[4].

---

(١) ابن واصل: المصدر نفسه، جـ٤، ص٤٣. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى، جـ٤، القاهرة، ١٩٨٣ - ١٩٨٤م، ص١٤٣. محمد الخضرى: الدولة العباسية، تحقيق إبراهيم أمين محمد، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة، ص٥٤٧.

David Ayalon, Outsiders in the Lands of Islam Mamluks,Mongols and Eunuchs, London, 1988, p148.

(٢) ابن العبرى: تاريخ الزمان، ص٢٦٤. الكاشى: مفتاح الحساب، ص١٥. ميرخواند: روضة الصفا، جـ٤، ص٨٤٦. عبد السلام عبد العزيز فهمى: تاريخ الدولة المغولية فى إيران، ص٦٣. عبد الله رازى: تاريخ كامل إيران، ص٣٠٩.

Wilfrid Blunt ,Op.cit,p79.

(٣) ابن سباط: تاريخ ابن سباط، جـ١، ص٢٥٨. ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول، ص٢٣٥، ٢٣٤، ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، تحقيق حسن محمد الشماع، مج ٥، جـ١، ١٩٧٠، ص٢١٢. ماركو بولو: رحلات ماركو بولو، ص٢٤٣. ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٤، ص٤٤. عباس العزاوى: تاريخ العراق بين احتلالين، جـ١، ص١١٧.

(٤) خواندمير: تاريخ حبيب السير فى أخبار أفراد البشر، جلد سوم، ص٣١. القرمانى: أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ، ص٢٨٦.

تحـول الناس بين حـريق وغـريق ومـيت تحت الأنقـاض وحل بالمدينة والقلعـة الخراب والدمـار وتجرع النـاس كؤوس الهـلاك، واستـثنوا من ذلك القاضى وشيخ الإسـلام ومن احتموا بهـما، وقدروا بنيف وخمـسين ألفا من الخلق. وهذا الكلام لا يخلوا من المبـالغة، ومع ذلك فـهو يدل على مـا كان عليه رجـال الدين فى ذلك الوقت من سلبية وتخـاذل عن الدفاع عن بلادهم ضد الغاصبين(١).

هكذا تمكن جنكيزخان من الإجهاز على إقليم مـا وراء النهر برمته دفعة واحدة، وهو الإقلـيم الذى اتخذه الخوارزمـيون مـركزًا للدفاع عـن دولتهم، وركزوا فيه كل جيوشهم وجهودهم، وبسقوطه لم يعد هناك حائل بين المغول وبين الاستيلاء على الأقاليم الباقية من الدولة الخوارزمية(٢).

يعتبـر العصر المغولـى واحدا من أكثر العـصور التاريخيـة إثارة وفزعا، وأسبقها جذبا لأنظار المؤرخين. ولاشك أن حملات المغول المدمرة على مراكز الحضـارة تمثل فترة هـامة فى تاريخ البشـرية. ففى خـلال عدد محـصور من السنين، أصـبحـت آسيـا كلها تقـريبـا تحت إمرة هؤلاء الـفاتحين المرهوبى الجانب(٣).

Beatrice Manz, Central Asia in Historical Perspective,U.S.A,1995, P28. Bietrich Brandenburg, Samarkand , p16 .Bretschneider, Medieval Researches,vol.1, p279.Donald Wilber, The Architecture of Islamic Iran the Ilkhanid Period,U.S.A, 1955,P3. Gavin Hambly,Central Asia, p96. John Lawton, Travel to Landmarks Samarkand and Bukhara, p42.

(١) عطا ملك الجوينى: تاريخ جهانكشـاى، مج١، ص١٣٠. ميـرخواند: روضة الصـفا، جـ٥، ص٨٤٦ عبد السـلام عبد العزيز فهمـى: تاريخ الدولة المغولية فى إيران، ص٦٣. عباس العزاوى: المرجع نفسه، جـ١، ص١١٨.

(٢) خواندمـير: المصدر نفـسه، جلد سوم، ص٣١. النـسوى: سيرة الـسلطان جلال الدين منكبرتى، ص١٤، ١٢. عبد السلام عبد العزيز فهمى: المرجع نفسه، ص٦٤.

(٣) فؤاد عبد المعطى الصياد: الشرق الإسلامى فـى عهد الايلخانيين أسرة هولاكو، الدوحة، ١٩٨٧، ص١١.

حقا كـان المغول يحملون راية الدمار ويعلنون مبـادئ الخراب ويشعلون النيران فى كل معـلم من معالم العمران وكل اثر من أثـار الحضارة، فطويت بذلك صفحـات من تاريخ العلم والمعرفة والثقـافة والحضارة فى مـدن الصغد خلال تعرضـها للسلب والنهب وتركها للرمـال التى تذروها الرياح، ودمرت المدارس والمكتبات وتشتت الدارسون ورجال العلم .

هكذا انطلقت قوات التتـار فى تيارات مدمرة عاتية تجـتاح بلاد ما وراء النهر ومدنه الزاهرة ومراكز الحضارة والثقافـة بها، تستسلم لهم مدينة فيعفون أهلها من القتل ليـسترقونهم، وتدافع أخرى عن حـياضها، فيـقتلون سكانها جميعا بعـد اقتحامها، لا يستثنون فى ذلك كهـلا أو امرأة أو شيخا اللهم إلا أصحـاب الحرف والصنائع، إذ كـانوا يبقون عليـهم ليقوّمـوا على خدمـتهم وينهضـوا بتعميـر منازلهم ومدنهم فى بلاد المغول. وهم فى جمـيع الأحوال ينزلون الخراب والدمـار بكل بلد يحلون به، وينتـهبون كل مـا به من مؤن أو متاع[1].

* * *

(١) أحمد محمود الساداتى: تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، ص١٩٣.